Looloo
www.dvd4arab.com

طراز خاص من المقاتلين ..
ورجل مخابرات لا مثيل له .
إنه (القناص المحترف) ..
فقط اقرأ لكى تندهش وتتمتع بمغامرات بطل من طراز فريد . وأحداث مثيرة لاهثة مذهلة . ومقاتل لا شبيه له .. لا يعرف اليأس ابدآ .. ولا الهزيمة ..
بطل ستقرأ مغامراته وبطولاته فى كتاب مميز - أيضا - ، ولا شبيه له فى أى مكان .

مجدى صابر

الفصل الاول

وجه من الماضى

خلت شوارع مدينة (نصر) أو كادت من المارة ، بسبب البرد القارس والغيوم الكثيفة الملبدة فى صفحة السماء ، والوقت الذى تجاوز العاشرة مساء ببضع دقائق ، وفى شارع (عباس العقاد) ، على مقربة من أسوار الحديقة الدولية كان ثمة ستة أشخاص ذوى سحنات قاسية باردة وأبدان ضخمة ، وقد تدثروا بمعاطف ثقيلة ، وراحت عيونهم تتطلع إلى اللافتة المضاءة فوق شرفات إحدى العمارات القريبة وهم جالسون داخل سيارة عريضة سوداء ذات زجاج من

نوع خاص يخفى ما وراءه ، ويسمح لمن بداخلها ، رؤية كل ما هو خارجها فى حين يتيح لمن بالخارج مراقبة من يجلسون بداخلها ٠

كان مكتوبا فوق اللافتة العريضة المضاءة « شركة العبور للاستيراد والتصدير والمقاولات » وكان الشارع مظلماً إلا من ضوء خافت بعيد ، وقد بدت أعمدة النور القريبة غارقة فى العتمة ، كانما امتدت إليها يد فسلبت ضوءها وعبثت بلمباتها لغرض خاص ٠

والقى الشخص الجالس إلى عجلة القيادة نظرة إلى ساعته المضيئة ، كانت عقارب ساعته تشير إلى العاشرة تماما ، فتقوّس حاجباه الكثيفان وزم شفتيه النحيفتين اللتين اطبقتا على سيجاره الفاخر ، كان يبدو مختلفاً بعض الشىء عن بقية رفاقه بنظراته الصارمة ووجهه الذى يخفى مشاعره كانه يرتدى فوقها قناعاً سميكاً ، وزفر كانه يطلق أنفاساً ملتهبة حبيسة فى صدره ، ثم التفت إلى رفاقه قائلاً ، فى صوت عميق : استعدوا ٠٠ سوف يهبط صاحبنا خلال خمس دقائق على الأكثر ٠

وما كاد يتم عبارته حتى أطفئت انوار اللافتة العريضة ، وعلى الفور تلاقت عيون الرجال الخمسة فى نظرة صارمة حادة ، واستقرت أصابعهم فوق اسلحتهم داخل معاطفهم الثقيلة ٠

وهمس صاحب السيجار وعيناه ترسلان بوميض

حار : سوف يهبط صاحبنا وحده كعادته ٠٠ فهو آخر من يغادر شركته ٠

وأضاف وهو يطلق نفساً عميقاً من سيجاره : أريد أن يبدو الأمر كحادث سرقة عادى ٠٠ فصاحبنا يحمل دائماً حقائب متخمة بالمال ٠

أومأ الرجال الخمسة برءوسهم فى عنف وشعت عيونهم ببريق حاد كاللهب ، وبدوا مثل حيوانات متوحشة توشك أن تحطم اقفاصها لتشيع الموت والخراب فى كل مكان ٠

وبعد لحظة ظهر (مراد عزمى) خارجاً من مدخل العمارة ، كان طوله يقترب من المائة وثمانين سنتيمتراً وسنه لا يجاوز ثلاثين عاماً وقد ظهرت بنيته الرياضية وعضلاته المفتولة التى بدت واضحة برغم معطفه الثقيل فوق بذلته الأنيقة ، وقد قبضت يده اليمنى باصابع قوية فوق مقبض حقيبة جلدية متخمة بالمال ، على حين استقرت أصابع يده الأخرى فى جيب معطفه ٠

وسار (مراد) فى نشاط باتجاه سيارته المرسيدس الألمانية الفاخرة التى كانت تربض على مسافة أمتار قليلة إلى جوار الرصيف ٠

وقطع (مراد) خطوتين فى اتجاه سيارته قبل أن يتوقف عن السير وقد تحفزت كل عضلة فى جسده وتنبهت كل خلية فيه ٠

كان ثمة إحساس عميق بالخطر قـد قفز إلى
مشاعره فجاة ٠٠ شىء أشبه بالحاسة السادسة التى

شديدتا السواد والغور ، كانما تسكنهما كل اسرار
الدنيا ، وكان فكه عريضاً قاسياً وشعره غزيراً لامعاً

الفصل الثانى

خدمة .. لرجل ميت !!

ألقى (مراد) نظرة متفحصة لا تخلو من السخرية على الرجال الخمسة الممددين فوق الأرض ، والتفت إلى (فخرى) متساءلاً : هل هؤلاء الرجال تابعون لك ؟

هز (فخرى) رأسه فى بعض الحزن مجيباً :

– دون شك ·· وإن اعتقدت أنهم سيصمدون أمامك بعض الوقت !

والتفت إلى (مراد) وهو يتمعن فيه بشدة مواصلاً :

- ولكن ما حدث أمامى منذ لحظات يؤكد لى ما ما اعتقدت فيه دائماً .. انت رجل لا مثيل له أبداً .. ولن تجود المخابرات بمثله قبل زمن طويل .

ضاقت عينا (مراد) فى صرامة ، وقال بصوت لا يخلو من لوم :

- ما الذى جاء بك هذه الليلة يا سيدى .. لا أظن انك رغبت فجأة فى اختبار مهارتى بعد كل هذه السنين .. ولا أظن أيضاً أن وقتك يتسع لمثل هذا اللهو ؟

وفى تلك اللحظة بدأ الرجال الخمسة يفيقون من سباتهم ، وهم يطلقون آهات ألم .. وما كادت عيونهم تقع على (مراد) حتى تنبهوا تماماً وامتدت أيديهم إلى أسلحتهم وهم يشتعلون غضباً ، ولكن صوت (فخرى) أوقفهم قائلاً : لقد انتهى الحفل أيها الأولاد ، فهيا عودوا إلى منازلكم وابحثوا عمن يداوى جراحكم ويعالج كسوركم ، والأفضل لكم أن تفتشوا عن عمل آخر من الغد يناسب مواهبكم المتواضعة !

تبادل الرجال الخمسة النظرات فى دهشة ، ولم يفهموا سر التحول فى رغبة رئيسهم .. كان حتى لحظات قليلة يستحثهم على القبض على ذلك الشاب الواقف أمامه بأى ثمن .. وقد أوشكوا على قتله لو اتيحت لهم الفرصة لذلك ، فما بال الاثنين واقفين يتحدثان كصديقين قديمين .. وأى قوة يمتلكها هذا

الشاب ، بحيث استطاع التغلب عليهم ، جميعا ، بيديه العاريتين ، وهم من أمهر رجال العمليات السرية الخاصة ؟

ولكن .. كانت أوامر رئيسهم صارمة لا تنتظر مناقشة أو استفساراً ، فتحاملوا على بعضهم واستقلوا سيارتهم السوداء وغادروا المكان .

واستدار (مراد) إلى (فخرى) قائلاً : كان يمكن لرجالك قتلى لو أصابتنى إحدى رصاصاتهم .

ولكن (فخرى) هز رأسه وابتسامة صغيرة تتلاعب فوق شفتيه ، وقال :

- كنت واثقا تمام الثقة أنهم لن يستطيعوا إصابتك بخدش واحد ، ولو فعلوا لانصرفت معهم وقد تيقنت انك لم تعد صالحاً للعمل الذى جئتك لأجله .

ضاقت عينا (مراد) بشدة وتعقد حاجباه ، وهو يقول :

- ماذا تريد منى يا سيد (فخرى) ؟

جاوبه (فخرى) بابتسامة :

- لا أعتقد أن هذا هو الأسلوب المناسب للتحدث مع رئيسك السابق .

قال (مراد) فى حسم :

- لقد اعتزلت العمل منذ زمن .

تجاهل (فخرى) الإجابة وأحكم من إغلاق ياقة معطفه الثقيل حول عنقه ، وهو يقول :

– لماذا لا نتجه إلى مكان ما ونحتسى مشروباً دافئاً .. إننى رجل عجوز كما ترى ، وهذا الجو البارد يوشك أن يفتت عظامى !

تأمل (مراد) محدثه لحظة ثم اتجه إلى سيارته ، وهو يقول : يمكننا أن نشرب الشاى فى منزلى .

فرك (فخرى) كفيه فى ابتهاج قائلاً :

– رائع .

وكان المنزل الواقع فوق هضبة المقطم يطل على « بانوراما » رائعة لمدينة القاهرة ، ومن مكانه خلف النافذة الزجاجية المغلقة فى المنزل الدافىء الذى يشبه فيلا صغيرة ، راقب فخرى الأنوار البعيدة وهو غارق فى تفكير عميق .

لقد حدث ما توقعه بالضبط . ولم يتغير شىء فى (مراد عزمى) منذ افترقنا قبل بضع سنوات ..

أربع سنوات بالضبط .

كان (مراد) أفضل رجل فى إدارته المنوط بها القيام بأكثر العمليات سرية فى جهاز المخابرات بأكمله حتى أنهم اطلقوا عليه لقب (القناص المحترف) . فما من مهمة فشل فيها . وما من عدو طارده وإلا أوقع به . وفشل كل أعدائه فى أن يمسوه بأذى .

كان هو ، وحده ، من له الغلبة والفوز فى

النهاية ولهذا أطلقوا عليه ذلك اللقب الفريد الذى لم يحمله أحد من قبل سواه !

كان أسطورة (إدارة العمليات السرية) فى جهاز المخابرات المصرية ، ولكن ذلك كله إنقضى فى غمضة عين لسبب لا حيلة لأحد فيه . عندما انطلق (القناص) مع زميل له فى مهمة خارج الحدود . وسقط الاثنان فى شرك لم ينج منه غير (مراد عزمى) ، ولكنه اعتبر نفسه مسئولاً عن زميله وصديق عمره لأنه لم يُحكم الخطة التى أودت بحياة زميله .

مات (حازم شريف) الصديق الأثير العزيز ، وبموته اعتزل (مراد عزمى) عمله رافضاً كل الإغراءات وتحوّل فى أعوام قليلة إلى رجل أعمال ناجح . وانطوت صفحة (القناص المحترف) ، فهل آن لها أن تفتح من جديد ؟

واعتصر (فخرى سيف) ذهنه بشدة متساءلا إن كان سيستطيع إقناع (مراد) بالعودة إلى العمل مرة أخرى ؟

كانت تلك مهمته وحده .. ونجاحه فيها أو فشله يتوقف عليه أشياء كثيرة جداً . وجاءه صوت (مراد) العميق من الخلف :

– لقد أعددت الشاى يا سيد (فخرى) .

استدار (فخرى) نحو (مراد) وراقبه فى

صمت ، صار وجه (القناص) أكثر صرامة وقسوة ، كأن الذكرى فجرّت فى قلبه شلالات من الألم والعذاب ·

وفكر (فخرى) وهو يحدّق فى (مراد) بنظرة قصيرة غير مباشرة · كان يفضل دائما أسلوب الهجوم المباشر فهل سيفلح هذه المرة مع رجل محترف ·· كالقناص ؟ وتناول كوب الشاى الدافىء بين أصابعه وركز بصره على وجه (مراد) وهو يقول ، فى بطء وتمهل : توقعت فى أوقات كثيرة أن تطرق باب مكتبى ·· ولكنك لم تفعل ·

أجابه (مراد) وهو يستدير بوجهه بعيداً :

– لم يدر هذا الخاطر فى ذهنى أبداً !

عاود (فخرى) الهجوم المباشر قائلاً :

– ظننت أنك نسيت ما جرى وسوف يعاودك الحنين للعمل الصعب مرة أخرى ·

استدار (مراد) لاهثاً كأنه تلقى طعنة ، وهتف بصوت يقطر مرارة فى رئيسه السابق :

– هل ظننت أننى سأنسى أبداً مسئوليتى عن مقتل زميلى وصديق عمرى الذى كان أكثر من أخ لى ؟

قال (فخرى) بلهجة ناعمة :

– كان ذلك قضاء وقدراً ·

زمجر (مراد) فى خشونة وعنف :

– بل كان بسبب عدم إحكام الخطة من جانبى ·

وضع (فخرى) يده فوق كتف (مراد) فى إشفاق قائلاً :

– عملنا هو تحدى الخطر والموت ، ونحن نتوقعه فى أى لحظة ·

واجهه (مراد) بعينين داميتين كأنما تتفجر فيها دماء الجراح :

– ولكن ليس من المهارة فى عملنا أن ننخدع بالشراك التافهة ونندفع إليها مثل فراشات غبية بلهاء تلقى بأنفسها فى أتون اللهب باحثة عن الدفء ، فتنال أبشع نهاية ·

– الموت هو مصيرنا جميعاً ·

– لن أسامح نفسى أبداً ؛ لأننى تسببت فى مصرع (حازم شريف) ·

– أنت أيضا كنت معرّضاً للموت مثله لولا مهارتك ·

– ليتنى متّ معه ·

قالها (مراد) وقد أغمض عينيه بشدة كأنه يبحث عن منقذ له من آلامه ·

وربت (فخرى) على كتف (القناص) مهوّناً وهو يقول :

ـ لقد كنت الأكثر مهارة ، وأمثالك لا يموتون بسهولة مهما تعاظم الخطر حولهم .. وربما لو كان لحازم نفس مهارتك ما لاقى هذا المصير .. كنت أنت الأول فى (إدارة العمل السرى) ولازلت .

غمغم (مراد) فى ألم :

ـ بل أنا الفاشل الأكبر .

واجهه (فخرى) فى صدق :

ـ لا . صدقنى . أنت لا تزال الأفضل لدينا . وإلا ما لجأت إليك ثانية .

أدار (مراد) وجهه بعيداً وقد زادت ملامحه قسوة وصرامة وهو يقول :

ـ لن تفيد محاولاتك شىء .

عبثت أصابع (فخرى) بكوب الشاى الساخن ، وقال بلهجة ماكرة :

ـ لو كان هذا صحيحاً فأخبرنى لماذا احتفظت بمهاراتك كل هذه السنين .. لقد ظلت عيوننا حولك تراقبك فى كل لحظة ، وأعجبنى جداً أن رأيتك تواصل تمارينك القاسية للحفاظ على لياقتك ومهارتك كل يوم ، كأنك لا تزال فى الخدمة .

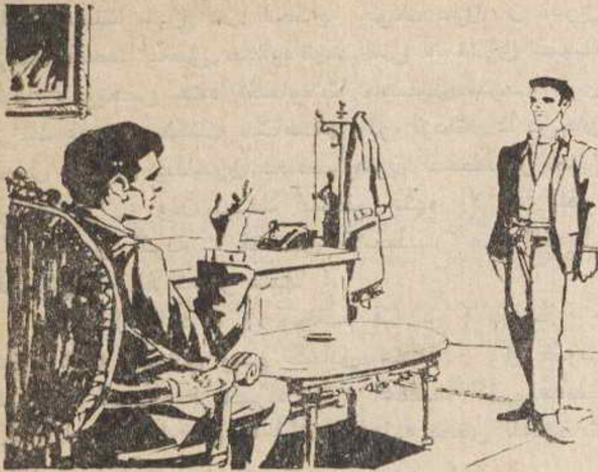

استدار (مراد) صوب محدثه وعيناه تشعان ببريق غاضب ، وهتف ساخراً :

ـ رائع .. يبدو أن أعمالكم قد أصابها الكساد لذلك تفرغتم لمراقبتى .

أجابه (فخرى) فى توكيد :

ـ بل كنا نحميك بمراقبتنا لك .. فهناك العشرات ممن تسببت فى تدمير خططهم لإيذاء هذا البلد وتخريبه ، وأيضاً عشرات العملاء الذين تسببت فى دمارهم وأوقعت بهم ، كل هؤلاء ومن يقفون وراءهم تمنوا الموت لك ومحوك من على وجه الأرض .. حتى بعد اعتزالك عملك السرى ،

ولولا إقامتنا سياج من الحماية حولك دون أن تدرى لربما أفلحت بعض محاولاتهم التى لا تدرى عنها شيئاً ، وبعض هذه المحاولات مسجل لدينا فوق شرائط فيديو يمكنك مشاهدتها لو أردت ، فرجال العمل السرى يظلون يصارعون الخطر حتى لو اعتزلوا ، ولن يبتعد الخطر عنهم إلا إذا ألقوا بأنفسهم فى أتونه ، فتحدى الأخطار هى أفضل الوسائل .. للانتصار عليها !

حدّق (مراد) فى وجه (فخرى) صامتا .. كان رئيسه السابق يبدو كسابق عهده . وفى صوت هادىء قال (مراد) : أعتقد أننى قدمت من الخدمات للوطن ما أستحق عليه بعض الخدمات أيضاً .

أومأ (فخرى) برأسه وقال :

ـ هذا صحيح يا (مراد) .. ولكن هناك شخص معين بحاجة إلى أن تمد له يد العون .. ولا أظن أنك ستخذله أبداً .

أجابه (مراد) فى صرامة وحاجباه يتعقدان أكثر :

ـ لقد أخبرتك أننى اعتزلت العمل ، كما أن شايك سيبرد يا سيدى .. هذا غير أننى بحاجة للنوم مبكراً لأن لدىّ صفقة هامة فى الغد لا يمكننى المغامرة بفقدها .

كانت لهجة (مراد) دعوة مهذبة لكى يتركه

السيد (فخرى) وحيداً . ولكن رئيسه السابق لم يكن ممن يستسلمون سريعاً .. بل علمته الحوادث أن أكثر اللحظات بعثاً لليأس ، هى الأفضل فى استثمارها ، فقال بصوته الهادىء :

ـ لا أظن أن أى صفقة يمكن أن تمنعك عن مد يد العون لشخص بالذات .

وفى بطء أضاف : إنه (شكرى المصرى) .. معلمك السابق فى الأكاديمية .

كان التأثير كما توقع (فخرى) .. وغمغم (مراد) بدهشة وقد احتقن وجهه بسبب المباغتة :

(شكرى المصرى) ؟

كان معلمه الذى تلقى على يديه مهارات كثيرة وحيل مدهشة ، إجادة إطلاق الرصاص إلى حد الإعجاز ، وألعاب القتال الصينية وأسرار عمل المخابرات ، وكان يدين بالفضل له فى عمليات كثيرة ، لولا (شكرى المصرى) لكانت نهايته فيها .

لم يكن معلمه فقط ، بل كان أبوه الروحى أيضاً !

وفكر (مراد) فى تقطيب أشد .. فقد توفى (شكرى المصرى) منذ أعوام ، وقبل تركه للخدمة بعام ، فما الذى جدد ذكراه ، وأى لعبة يمارسها معه (فخرى سيف) ، وما الذى يمكن أن يقدمه .. لرجل ميت ؟

واستدار بوجه صارم ، وهو يقول لرئيسه

السابق : لا أظن أن (شكرى المصرى) بحاجة للعون من أى إنسان .. وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى منذ سنوات ؟

كان السؤال متوقعاً لـ (فخرى) ، فاشعل سيجارة وهو يقول : أنت على حق ، فلم يعد (شكرى المصرى) بحاجة إلى خدمات من أى نوع ، ولكن لنكن أكثر تحديدا فأقول : إن من يحتاج إلى عونك هى (غادة) .. ابنة (شكرى المصرى) !

كرر (مراد) فى دهشة :

- (غادة المصرى) ؟

والتهبت عيناه بشدة للذكرى .. وعض شفته السفلى بقسوة وعنف .. كيف غابت (غادة) عن ذاكرته كل تلك السنين ؟

كانت آخر مرة شاهدها عندما كانت فى الثامنة عشرة من عمرها .. قبل اعتزاله العمل باسابيع قليلة .. وعند وفاة والدها لم يستطع أن يذهب إليها معزّياً .. لم تكن له القدرة على مواجهتها . كان جرحه لا يزال ينزف ، وكان هو من بحاجة للعزاء من الآخرين ، ولا قدرة له على تعزيتهم . فأرسل إليها بخطاب حزين يرثى والدها .. وشغله عمله عنها كل تلك السنين محاولاً أن ينساها كما نسى كل ما كان يربطه بماضيه .

ودارت مئات الأفكار فى رأسه : (غادة) التى

كان يعتبرها أخته الصغرى .. ترى أى عون تحتاجه منه بعد كل تلك السنين ؟

وحدّق فى (فخرى) بوجه شاحب .. وراقبه رئيسه فى دهاء . كانوا يلقبونه فى عمله (بالثعلب) .. وقد كان يستحق تلك التسمية بسبب دهائه المنقطع النظير . وكان واثقا فى تلك اللحظة أنه سيصل إلى بغيته حتماً ، وأن أسلوب الهجوم المباشر قد أثبت نجاحه المؤكد .

ولم يحتمل (مراد) الصمت الثقيل فصاح فى (فخرى) :

- ماذا جرى (لغادة) .. أخبرنى حالاً .

أومأ (فخرى) برأسه فى بعض الحزن مجيبا :

- للأسف فهى فى موقف لا تحسد عليه .. فقد سقطت فى قبضة رجل لا يرحم من أعدائنا .

اتسعت عينا (مراد) ، وغمغم فى صوت يشتعل غضباً : لا تخبرنى أنها ..

قاطعه (فخرى) فى حسم :

- بل هذه هى الحقيقة .. ومن المؤسف انك عرفت بها متأخراً وإلا لربما تغيرت أشياء كثيرة .. فبعد وفاة والد (غادة) بعام تقدمت للانضمام إلى صفوفنا لتكمل مسيرة والدها . واجتازت كل الاختبارات والمهارات المطلوبة بنجاح وقد بدا لى أن والدها كان يدربها ويؤهلها لهذا العمل ، ولذلك

رشـــحتها للعمل فى نفس الإدارة التى كنت تعمل فيها ، عسى أن تعوّض قليلاً من خسارتنا باعتزالك !

هز (مراد) رأسه غير مصدق ، وغمغم :

ـ لا .. مستحيل .. إن (غادة) هى آخر من تصلح لهذا العمل بسبب رقتها البالغة .

أطبق (فخرى) بأصابعه بقوة على سيجاره ، وهو يقول لمراد : ليس هذا صحيحا .. فقد أثبتت (غادة المصرى) مهارة منقطعة النظير وحققت انتصارات رائعة خلال السنوات الماضية ، حتى صارت تحمل رقم (١) بين كل فتيات جهاز المخابرات المصرى .

قسا صوت (مراد) وهو يقول :

ـ ولكن شخصاً ما أوقع بها فى النهاية .. أليس كذلك ؟

أسقط (فخرى) رماد سيجاره فى مطفأة أمامه وقال فى صوت يشى بحزن عميق :

ـ هذا صحيح تماماً .. وذلك الشخص الذى وقعت (غادة) فى قبضته لا يرحم أبداً وتعتبره إدارتنا من أخطر أعدائها .. ولعلك لا تزال تذكر صاحب هذا الاسم .. (خوسيه ميلا) !

غمغم (مراد) مكرراً : (خوسيه ميلا) ؟

واصل (فخرى) :

ـ إنه أكبر مهرب مخدرات فى (أمريكا الجنوبية)

بأكملها .. وقد جعل إغراق مصر والعالم العربى بأكمله بالمخدرات ، هدفه الأول .. والوحيد !

ردد (مراد) غير مصدق وقد اشتعل صوته بالغضب الشديد :

(خوسيه ميلا) مرة أخرى ، كنت أظن أننى قضيت عليه فى المرة السابقة ؟

سحق (فخرى) سيجاره فى المنفضة أمامه ، وهو يقول بصوت بارد عميق :

لقد أثبت (خوسيه) أنه أكثر مهارة مما ظننا ربما لأنه رجل مخابرات سابق . ومن المؤكد أنك لا تزال تذكر كيف نسفت سفينته التى كانت محملة بالمخدرات وتتجه إلى شواطئنا ، فى البحر الأبيض ، وظننت أنه غرق عندما ألقى بنفسه فى البحر المتوسط ، ولكنه تمكن من النجاة بطريقة ما ، ونما نفوذه وتعاظمت ثروته خلال سنوات اعتزالك ، فصار يمتلك شبه (جزيرة كاليفورنيا) فى خليج (المكسيك) وصار يعمل لديه الآلاف وتحوّل إلى مافيا يخضع لها أغلب قادة ومسئولى بلاده الذين اشتراهم بماله ، وصار أكبر مستورد للمخدرات التى يحوّلها إلى هيروين نقى فى قصره ، ويشحنها إلى بلادنا لإغراقها فى هذه السموم .. وصار من القوة بحيث بات يخشاه أعظم الساسة فى (أمريكا الجنوبية) بأكملها ، بل إنه صار يفكر جدّياً فى ترشيح نفسه

لرئاسة بلاده ، خاصة وأنه صار له من الأتباع والحراس ما يمكنه تكوين جيش خاص لو أراد ذلك !

قست ملامح (مراد) حتى صارت مثل الفولاذ ، وقال فى صوت ملتهب :

ـ لقد سعت (غادة) للإيقاع بهذا النمر فى وكره ، فأوقع بها بدلاً من أن تصطاده هى !

نقر (فخرى) فوق المائدة أمامه وهو يقول :

ـ لقد حاولت إقناعها بخطورة هذه المهمة وفشلت .. فقد جائتنا الأوامر بالتخلص من (خوسيه) بأى ثمن ، وكانت خطة (غادة) أن تتظاهر بأنها صحفية أمريكية ترغب فى إجراء حوار مع ذلك الثعلب والتقاط بعض الصور لمحطة تليفزيونية أمريكية ، باعتباره رجل الأعمال الأول فى (أمريكا الجنوبية) ، وكانت تحتاج للإقامة بضعة أيام فى قصره الفاخر فى (خليج المكسيك) لتتمكن من كشف أسرار شحناته وعملائه بواسطة أجهزة حديثة منحناها لها .. ولكنه اكتشف حقيقتها دون أن ندرى كيف ، ثم قام بالقبض عليها .. وما تأكدنا منه حتى هذه اللحظة أنه لا يزال يحتفظ بها حية ، بعد أن لاقت من صنوف التعذيب ما يعجز البشر عن احتماله .

تخيل (مراد) مشهد (غادة) الفاتنة الرقيقة ، وهى تعانى عذاب الأسر والجراح ، فغمغم بصوت كالزئير :

ـ هذا الوغد .. أقسم أن أنتقم منه شر انتقام .

التمعت عينا (فخرى) بشدة ، وأدرك أن مهمته فى إعادة القناص للخدمة قد أفلحت أخيراً ، ولم يكن بحاجة لأن يسمع أكثر مما سمعه ، فصاح فى (مراد) :

ـ هذا هو ما نحتاج إليه بالضبط .. إن كل ما نريده هو شخص يلقن هذا الوغد درساً قاسياً . وبالرغم من أننا فى عملنا لا نسعى وراء الانتقام ولا الأهواء الشخصية ، ولكن ذلك الذئب المكسيكى لم يترك لنا أى اخيار آخر !

وصمت لحظة لاهثاً كأنما ليرى رد فعل كلماته على (مراد) ، وأكمل فى دهاء :

وقد فكرت طويلا ولم أجد من هو أفضل من (القناص المحترف) ليقوم بهذه المهمة .. وأنا الآن فى انتظار ردك .

التمعت عينا (مراد) بشدة حتى صارتا كأنما تشتعلان باللهب وقال لـ (فخرى) :

ـ لقد نجحت فى إقناعى بالعودة للعمل يا سيدى بطريقة مؤثرة حقاً .. فهذه المهمة بالذات لا يمكننى رفضها أبداً ولو كان ثمنها حياتى .. ففى عنقى دين (لشكرى المصرى) ، وأحسب أن الوقت قد حان لسداده .. كما أنه لا يزال بينى وذلك الثعلب (خوسيه) بقية حساب يجب تصفيته ، حتى لا يفكر مرة أخرى فى شحن سمومه إلى بلادنا .

وصمت لحظة ثم استدار إلى فخرى واضاف فى حسم :

ولكنها ستكون المهمة الأخيرة لى .. ولن تفلح محاولاتك معى مرة أخرى .

مط (فخرى) شفتيه محاولا إخفاء ابتسامة ماكرة وهو يقول : دعنا لا نسبق الأحداث يا عزيزى !

وتساءل (مراد) فى قليل من الدهشة : ولكنى أتعجب أن (خوسيه) لم يبادر بقتل (غادة) عند وقوعها فى قبضته واكتشاف حقيقتها .. فهو مشهور بدمويته ، ولم يرحم العديد من العملاء من كل أجهزة المخابرات العالمية ، التى حاولت الإيقاع به ، بسبب تجارته فى المخدرات ، فما السبب فى إبقائه على حياة (غادة) ؟

هز (فخرى) كتفيه قائلاً : من يدرى السبب فى ذلك ، فلعله حُسن الحظ لكى تتمكن من انقاذها يا (مراد) ، ولحسن الحظ أيضاً أنك تجيد اللغة الإسبانية كأهلها ، ورأيى أن الوقت لا يتسع لوضع كثير من الخطط ، وأن افضل ما تفعله فى هذه المهمة هى الهجوم المباشر والمباغت من حيث لا يتوقع عدوك !

لم ينطق (مراد) ، وظل على صمته وصرامته .

واخرج (فخرى) من جيبه مظروفا متوسط الحجم مده إلى (مراد) قائلا بلهجة عملية : سوف تجد

داخل هذا المظروف بعض المعلومات الهامة عن (خوسيه ميلا) وعصابته ، كما ستجد بداخله أيضا جواز سفر خاص به تأشيرة دخول وتذكرة سفر للمكسيك ، يحين موعدها بعد ساعة واحدة من الآن !

حدّق (مراد) فى (فخرى) بصمت ، فهزّ الأخير كتفيه وقد ارتسمت فى عينيه نظرة بريئة وهو يقول : كنت واثقاً أنك لن تخذل معلمك الراحل (شكرى المصرى) .. وقد اكدت لنفسى ذلك وانا اقرأ الفاتحة على روحه فوق قبره هذا الصباح ، واخذت أدعو الله فى الوقت نفسه أن تلحق بطائرة المكسيك فى موعدها !

وقبل أن يخطو خارجاً من الحجرة ، التفت إلى (مراد) ، وأضاف فى لهجة خاصة : أنت تعرف قواعد اللعبة فى إدارتنا .. فإذا وقعت فى مازق حرج فإننا لن نستطيع مد يد العون لك أو الاعتراف بأنك تعمل فى صفوفنا . حتى لا نتسبب فى أزمة دبلوماسية مع حكومة (المكسيك) ، التى تعتبر (خوسيه ميلا) سياسياً بارزاً .

وحدّق فى (مراد) بعينين ضيقتين وهو يضيف : إنها مهمتك وحدك .. كما جرت العادة دائماً !

* * *

الفصل الثالث

بطاقة وصول .. من الجحيم

تقع حانة (الثور المجنون) فى الطرف الغربى لشبه جزيرة (كاليفورنيا) على أطراف مدينة (سانتودى منجو) الساحلية ، وفى العادة فإنها تكتظ كل مساء بعشرات البحارة من كل الأجناس ، ممن ترسو سفنهم إلى الشاطىء القريب ، فتكون تسليتهم الوحيدة قضاء الوقت فى الحانة الشهيرة واحتساء أكبر قدر من المشروبات الكحولية .

وكانت الحانة فى تلك الليلة تعج بالبحارة من شتى بقاع الأرض ، وقد علا ضجيجهم بالضحكات والفاظ

السباب ، وتعبق الجو برائحة التبغ والسجائر من كل الأنواع .

وفى منتصف الحانة كان ثمة عملاق أصلع له لون النحاس المحترق ، وقد ارتدى فانلة قصيرة وسروالاً عريضا كشفا عن عضلاته المتكورة كقطع من الحجارة أو الصلب ، وقد راح يتصارع فى لعبة (الساعد) مع عملاق آخر أشقر البشرة ، وقد برزت عروق ذراعى اللاعبين وتكوّرت عضلاتهما ، وأخذ كل منهما يبذل أقصى ما لديه من قوة ، على حين أخذ المشاهدون يصرخون فى صياح جنونى ، وقد امتلأت المنضدة المجاورة للعملاقين بعشرات من أوراق النقد ، للمراهنة ، وقد جمعها بعض زملاء العملاق النحاسى (زانادو) من رجال (خوسيه ميلا) !!

ولم تستمر المباراة طويلاً .. وبعد لحظات سقطت ذراع العملاق الأشقر وسمع الحاضرون صوت تحطم عظام كتف العملاق الأشقر الذى سقط على الأرض ممسكا بكتفه فى ألم قاتل . وصاح أحد زملاء العملاق النحاسى اللون فى سرور : لقد فاز صديقنا (زانادو) للمرة العاشرة .. وكسبنا ألف دولار كاملة الليلة .. ولا يزال هناك المزيد من الربح ، فيا لها من ليلة رائعة !

وزمجر العملاق الأصلع فى صوت وحشى : إننى الأقوى والأعظم .. فهل هناك من أغبياء آخرين

يرغبون فى أن أحطم أذرعتهم وأستولى على أموالهم ؟

فلم يجاوبه صوت ما ، وحدّق رواد الحانة تجاهه فى خوف وهم يحبسون أنفاسهم ، ولكن ومن مدخل الحانة جاءه صوت هادىء بارد يقول : أنت لست سوى برميل منتفخ بالهواء والغباء أيضا أيها العملاق القذر فلا يأخذنك الغرور !

وفى الحال ران سكون عميق فى قلب الحانة بعد الكلمات القليلة السابقة ، واستدارت العيون فى ذهول إلى ذلك الشخص الواقف فى مدخل الحانة الذى تجرأ بالعبارة السابقة ، وقد بدا كمكسيكى أصيل ، بقبعته العريضة وذلك الرداء المنسوج من خيوط ملونة حول كتفيه ، وتلك النظرة الصارمة القاسية فى عينيه .

وزمجر (زانادو) فى وحشية وهو يهشم المنضدة التى يجلس إليها بخبطة واحدة من قبضته : ماذا قلت أيها المجنون ؟

أجابه (مراد) وهو يتقدم تجاهه بنفس اللهجة الباردة الهادئة : لقد سمعت ما قلته جيدا .. فأنت لست غير برميل منتفخ بالهواء والغباء .

صرخ العملاق فى صوت وحشى : لقد حكمت بالموت على نفسك أيها الغريب المتهور .. وأقسم أن أهشمك وأمزقك بأسنانى إلى ألف قطعة .

توقف (مراد) أمام العملاق (زانادو) ..

وبـــدا الفـــارق بين الرجلين واضحاً للمشـــاهدين بحيث ان أى صراع بين الاثنين ، لابد وأن يكـون فى صالح العملاق الأصلع (زانادو) ، بسبب فارق الحجم الكبير والقوة الظاهرة للعيان . ولكن ذلك الغريب ذا القبعة العريضة ، ألقى نظرة استهزاء على غريمه العملاق قائلاً : لا تكن مثل الطبل الأجوف الذى يدق كثيراً بلا معنى .. فإن كنت أنت الأعظم والأقوى فأنا أتحداك فى لعبتك الدموية أيها التافه !

زمجر (زانادو) بفك مرتعد غضباً : وأنا قبلت التحدى أيها الغريب .

وأخرج من جيبه ألف دولار ألقاها على المائدة أمامه قائلاً : ها هى حصيلة مكسبى الليلة .. فلنر كم تملك من المال لتتراهن به ؟

هز (مراد) كتفيه قائلاً : لست أملك من المال ولا دولاراً واحداً .. ولكن إن استطعت هزيمتى ، فسيكون مصيرى رهن مشيئتك !

شهق الواقفون فى ذهول ، وغمغم البعض فى صوت هامس : إنه مجنون دون شك ، فهو يحكم على نفسه بالموت ، ولن يرحمه ذلك العملاق إذا فاز عليه ، وسيمزقه إرباً !

تبادل رجال (خوسيه ميلا) زملاء (زانادو) النظرات فى دهشة وحذر . كانت المرة الأولى التى يشاهدون فيها ذلك الغريب الذى يبدو واثقا من نفسه

زمجر العملاق قـائلاً (لمراد) : لن تستغرق هزيمتك أكثر من ثوان معدودة .

بطريقة عجيبة حتى إنه كان على استعداد لأن يغامر بحياته ذاتها !

وكانوا فى العادة لا يرتاحون كثيرا للغرباء . ولا يرتاحون أكثر لمن يبدون بمثل هذه الثقة .. فقد علّمتهم التجربة أن مثل أولئك الأشخاص ، يكونوا خطرين جداً !

وران صمت ثقيل بعد كلمات (مراد) ولعق العملاق الأصلع شفتيه كوحش يوشك على التهام فريسته وهو يحدّق فى (مراد) ، وزمجر قائلاً : إن هذا العرض يعجبنى .. فسأفوز بحياتك دون مقابل ، وأعتقد أنها صفقة رابحة !

وانحنى على مائدة مجاورة ماداً يده اليمنى وعيناه تشعّان بوميض كالشرر .

وانحنى (مراد) أمامه مادّاً يده اليمنى أيضاً .

وأطبقت أصابع اليدين على بعضهما البعض مثل قيود من الفولاذ . وزمجر العملاق قائلا لغريمه : لن تستغرق هزيمتك أكثر من ثوان معدودة ، وبعدها سألقى بأعضاء جسدك واحداً وراء الآخر لأسماك الخليج .

أجابه (مراد) وهو يحدق فى عينيه بثقة : أنا الذى سأقرر متى تنتهى هذه المباراة عندما ترتكب أول الأخطاء ضدى ، فأجبرك أن تعتزل

بعدها هذه اللعبة أيها التافه .. لأن ذراعك لن تصلح لشىء بعدها ولا حتى لمدها للتسول !

شدّد العملاق قبضته أكثر ، وبان غضب شديد فى عينيه ، وزمجر بصوت كالفحيح قائلا : أقسم أن أهشم عنقك بعد هذه المباراة ، ولن يمنعنى شىء من تمزيقك .

وأخذ يدفع ذراع (مراد) بقوة خارقة ، وقد نفرت عروق ذراعه فى مشهد مخيف .. ولكن ذراع (مراد) ظلت مكانها ثابتة فوق المائدة ، لا تتحرك قيد أنمله كأنما سُمرت مكانها بقوة غير مرئية .

كانت عضلات ذراع (القناص) أقل ضخامة .. ولكنها تمتلك من القوة أكثر مما تبدو عليه . وزمجر العملاق فى غضب وهو يشعر بذراع منافسه ثابتة كقضيب من الصلب يستحيل زحزحته ، وامتلأت جبهته ورأسه الصلعاء بعرق غزير وهو يضاعف قوته ، وقد تعلقت أبصار الواقفين بذراعى المتنافسين واحتبست أنفاسهم لشدة الإثارة . على حين بدا فى عيون زملاء العملاق نظرة دهشة بالغة .

وحدّق (مراد) فى عينى العملاق .. كانت عينا (القناص) أشبه ببحر لا قرار له .. كأنهما دوّامة مخيفة يغوص فيها أى انسان إلى قاعها ويستحيل عليه الصمود أمامها . وشعر العملاق كان عينى منافسه مصيدة تُطبق بشباكها عليه .

وأحس بقواه تخور · وأن تلك النظرات الشاقبة القاسية تسلبه قوته وتهزمه دون معركة ·

لم يكن السر فى قوة ذراعى (القناص) الهائلين ·· فقد كان العملاق الأسمر يمتلك نفس القوة وربما أكثر · ولكن · كان (مراد) يتفوق بشىء خاص ·· شىء تعلّمه من معلمه الراحل (شكرى المصرى) ·

كانت لعبة (اليوجا) هى سلاحه ·· قمة التركيز وصفاء الذهن الذى يستطيع أن يضاعف قوته بها · وإذا كان لاعب (اليوجا) يستطيع أن يرفع نفسه من فوق الأرض فى الهواء بتركيز ذهنه إلى حد مذهل ، فقد اعتاد (مراد) أن يضع كل تركيزه وصفاء ذهنه فى قبضته ·· التى لا ترحم أبداً !

وزمجر العملاق فى صوت وحشى وهو يفلت عينيه من إسار نظرات (مراد) :

لسوف أهزمك أيها الوغد ·· لسوف أهزمك مهما قاومت ·

وأجابه (القناص) فى صوت بارد : لقد ارتكبت خطاك الأول والأخير بدعوتى باسم (الوغد) أيها التافه ·· وأنا لا أتسامح مع من يخطئون فى حقى أبداً ·

وشدد (مراد) قبضته على أصابع منافسه وأخذ يدفع ساعده ، جاذباً ساعد غريمه بقوة وكأن شلالاً من القوة الخفية تسرى من بدنه إلى ساعده الصلب ، فمالت ذراع العملاق ببطء وجحظت عيناه كأنه لا يصدق ما يجرى له ، وأنه موشك على الهزيمة ·

وتبادل زملاء العملاق النظرات فى ذهول ·· كان ما يجرى أمامهم يبدو كالسحر وبعيد عن التصديق · وأفاقوا على صرخة مدوّية من (زانادو) الذى تدلت ذراعه لأسفل معلنة هزيمته بصرخة مدوية ، وأمسك بكتفه المحطم ثم تهاوى على الأرض يتلوى لشدة الألم ·

وصرخ أحد زملاء العملاق فى (القناص) بغضب وحشى : لقد حكمت على نفسك بالموت أيها الغريب ·

والتقط زجاجة فارغة وهشم مؤخرتها بضربها على الحائط ، فتحوّل بقيتها فى يده إلى ما يشبه الحربة المسنونة ، واندفع ليغمدها فى رقبة (مراد) ·

ولكن (القناص) تحاشى الزجاجة القاتلة بالانحناء لأسفل وبسرعة مباغتة أطاح بسلاح خصمه ، وطارت قبضة يده اليمنى إلى فك مهاجمه فى ضربة كالصخر ، فطار المهاجم فوق بعض الموائد خلفه ، ثم تهاوى على الأرض مهشماً عدداً من الزجاجات فى صوت مدوٍّ · وما إن رأى رجال (خوسيه) ما جرى لزميلهم ، حتى انقلبت ساحة

الحانة إلى جحيم ، فالتقطوا كل ما وصلت إليه أيديهم من أسلحة . زجاجات مهشمة وهراوات من الخشب وجنازير حديدية ثقيلة .

كان عددهم يزيد عن ثمانية ، وبدوا مثل قطيع من الوحوش البرية أفلت عقالها وتوشك أن تنقض على فريسة وحيدة بلا سلاح . وقد بدا مصير (القناص) كأنما تحدد سلفاً .

وما أسواه مصير أمام تلك الوحوش الضارية .

ولكن (مراد) لم يتزحزح من مكانه .. فقد خاض فى السباق معارك أشد قسوة وضراوة ، وما كان قلبه ليهتز فى أشد المواقف سوءاً .

واندفع زملاء العملاق صوب (القناص) وهم يطلقون صرخات جنونية . وفى لحظة خاطفة حدث أمر لم يكن متوقعا .

لم يكن متوقعا باى حال من الأحوال .

فقد التقط (مراد) زجاجة فارغة فى يده ، وقذفها فى الهواء فأخذت طريقها إلى سكين الكهرباء فى مدخل الحانة .

وأصابت الزجاجة هدفها وتهشمت إلى مائة قطعة بعد أن أدت الغرض المطلوب منها وحركت سكين الكهرباء لأسفل فساد الظلام المكان .

وفى اللحظة التالية تعالت أصوات الضربات والشهقات والصراخ المتألم .. وبدا المكان الغارق

فى الظلام كساحة سيرك يمكن أن يحدث فيه حتى أكثر الأشياء جنوناً . ولم يعد من صوت فى الظلام ، غير آهات وصرخات الفكوك المهشمة ، وأصوات سقوط الأبدان فوق المناضد والزجاجات وتهشمها فى دوى ثقيل .

لم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة .

وعندما امتدت يد صاحب الحانة إلى سكينة الكهرباء لترفعها مرة أخرى ، غمر الضوء المكان فجاة ، فشهق الواقفون عندما شاهدوا المنظر المذهل أمامهم .

كان رجال (خوسيه) الثمانية راقدين إلى جوار زميلهم العملاق ، بوجوه مشجوجة وفكوك مطحونة وأذرع مهشمة ، وهم لا يستطيعون حتى الوقوف على أقدامهم . وعلى مسافة قريبة وقف (مراد) يفرك يديه دون أن تفصح ملامحه عن أى مشاعر ، ومط شفتيه وهو يتأمل البحارة الراقدين على الأرض ، ثم التفت إلى بقية رواد الحانة قائلا :

أعتقد أن هؤلاء الأوغاد بعد ذلك الدرس الذى نالوه ، سوف يتوقفون عن تلك اللعبة القذرة مع عملاقهم الغبى ، والاستيلاء على أموال الآخرين بعد تحطيم أذرعتهم .

والتقط الألف دولار من فوق الأرض ،

ومدها إلى صاحب الحانة الذى عقدت الدهشة لسانه وقال له : هذا المبلغ مقابل ما جرى لحانتك من تخريب .. وأرجو ألا تسمح بمثل تلك الألعاب أن تدور فيه ثانية .. ولا لأولئك الأوغاد أن يكونوا ضمن زبائنك المرة القادمة !

وخطا (القناص) نحو باب الخروج وعيون الواقفين تراقبه فى ذهول ، دون أن يجرؤ أحدهم حتى على الهمس .

وابتلع صاحب الحانة لعابه فى ذهول وقد استرد رباطة جاشه أخيراً ، وصاح فى (مراد) : أنت أيها الغريب .. من تكون ؟

ولكن (القناص) غادر المكان دون أن يمنح الرجل أى إجابة .. واختفى ظله عن المكان .

وترامق رواد الحانة فى ذهول وهم يتساءلون إن كان ما شاهدوه حقيقة أم خيالاً .. وكيف أمكن لرجل واحد أن ينتصر على كل أولئك الأوغاد من رجال (خوسيه ميلا) .. ذلك الرجل الذى تخشاه حكومة بلاده وشرطتها وتعمل له ألف حساب ؟

وكان السؤال الأهم الذى طحن عقولهم تلك اللحظة ، هو : من يكون ذلك الغريب ؟ ومن أى أرض جاء ؟ وإلى أين يمضى ؟ وكيف امتلك تلك المهارة غير العادية فى القتال ، التى لا تتوفر حتى لأبطال الرياضات القتالية ؟

واندفع صاحب الحانة قافزاً من مكانه والقى نظرة للخارج بحثاً عن (القناص) .

كان الطريق خارج الحانة ممتداً ومضاءً إلى مسافة كبيرة وكاشفاً لكل تفاصيل المكان ، ولكن لم يكن هناك أى أثر لذلك الغريب ..

كأنما انشقت الأرض وابتلعته .

أو كأنما غرق فى مياه الخليج .

أو كأنه شيطان جاء من مملكته المجهولة ليهشم ويحطم السيقان والأذرع والرءوس ، ثم عاد من حيث جاء .. وحيث لا يعلم أحد !

واندفع رواد الحانة يغادرونها فى فزع عندما بدأ رجال (خوسيه ميلا) يفيقون ويصرخون كوحوش جريحة تسعى للانتقام ممن آذوْها .

وغادر رواد الحانة أماكنهم هاربين وقد سكن قلوبهم الفزع ، وراحوا يقسمون للآخرين فى كل مكان إن ذلك الغريب لم يكن سوى الشيطان ذاته .

وكان هذا هو ما يريده (القناص) بالضبط .

أن يكون ظهوره المفاجىء واختفاؤه العجيب هو حديث سكان الخليج بأكمله ..

كان يرغب أن تصل تلك الأخبار بأسرع ما يمكن

إلى شـــخص بالـــذات فى قلب الخليج .. إلى (خوسيه ميلا) .

وكأنه يرسل إليه بطاقة وصـول ، من قلب الجحيم !

* * *

الفصل الرابع

خوسيه ميلا

دق جرس الهاتف الموضوع فوق منضدة فضـية بجوار حمام السباحة الفاخر ، المطل على جنوب الخليج فى أطراف مدينة (لاباز) . وتعالى الرنين عالياً فتعلق بصر أكثر من عشرين حارساً فى المكان بالهاتف ، على مقربة مـن أسوار المنزل الفـاخر الذى يشبه قصراً محاط بصفوف من المستودعـات الكبيرة ، التى كان محظورا حتى الاقتراب منها ، حيث تأخذ محتوياتها طريقها عبر الخليج إلى دول الشرق الأوسط لتنشر السموم والموت والخراب بين شـبابها .

وإلى الخلف ظهر عشرات الحراس الآخرين وقد

استقرت مدافعهم الرشاشة فوق أكتافهم ، وقد تزودوا بترسانة من الأسلحة الأخرى وأجهزة الاتصال . وإلى الخلف ربضت طائرة (هليوكوبتر) مزوّدة بصواريخ على جانبيها وكأنها تستعد لتخوض معركة حربية !

كان المكان يشبه ثكنة عسكرية ، وقد تناثر عدد من مدفعية الطائرات بطول الشاطىء الذى ظهر فى مقدمته عدد من الزوارق السريعة المسلحة .

وكان ثمة شخص ملوّح الوجه ، تغلب عليه ملامح أهل الجنوب ، وقد راح يسبح فى رشاقة وقوة داخل حمام السباحة ، الذى صنعت أرضيته وحوائطه من المرمر الثمين .

وبالرغم من شاطىء الخليج الرائع الممتد إلى الأمام بلا نهاية .. إلا أن (خوسيه ميلا) كان يفضل دائما استخدام أشياءه الثمينة . فلم يكن (خوسيه) رجلاً عادّياً بأى حال من الأحوال .. ولم يكن ممن يخاطرون بحياتهم ولو بالسباحة بعيداً عن عيون وحماية حراسه المسلحين المنتشرين فى كل مكان حوله .

كان رقم هاتفه الذى تصاعد رنينه سرياً جداً .. لا يستعمل إلا فى الطوارىء ..

وأدرك (خوسيه ميلا) أن ثمة أمراً غير معتاد قد حدث ، وإلا ما تعالى رنين الهاتف فى ذلك الوقت

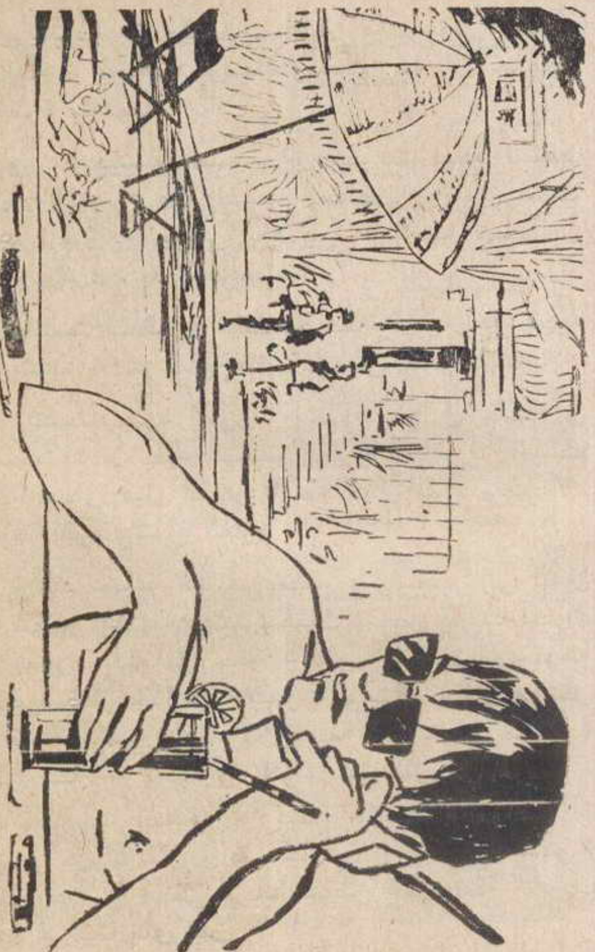

غادر (خوسيه) حمام السباحة وامتدت يده لتلتقط الهاتف المصنوع من الذهب الخالص .

الذى يقترب من منتصف الليل ، موعده المفضل للسباحة ، فضاقت عيناه وتجعّد ما بين حاجبيه فى نظرة متجهمة ·

وغادر حمام السباحة وامتدت يده لتلتقط الهاتف المصنوع من الذهب الخالص ·· وفى صوت ناعم رقيق لا يوحى بأهمية صاحبه تساءل (خوسيه) : من المتحدث ؟

وأنصت لحظة فى تقطيب حاد وقد بان فى عينيه كدر شديد ، ثم صاح غاضباً : متى حدث ذلك ؟

وأنصت مرة أخرى ، ثم صاح فى حدة فى المتحدث : لن يفيد الهاتف أيها الأغبياء ·· أريدكم حالاً عندى قبل الفجر لأسمع كل شىء منكم ·· وسوف أقوم باتخاذ اللازم ·

وأعاد سماعة الهاتف بعنف ، واستدار إلى اثنين من أخلص أعوانه هاتفا : هناك شخص غريب تعارك مع بعض رجالنا فى حانة (الثور المجنون) ، وهو شخص خطر جداً فيما يبدو ، وعليكم إغلاق مداخل ومخارج الخليج باكمله من مدينة (سانتودى منجو) حتى هنا ·· وأصدروا الأوامر بتفتيش كل غريب ·

وتكورت أصابعه فى قبضة متشددة مواصلاً : انشروا كل الرجال فى كل شبر من (سانتودى منجو) حتى هنا ، فإننى أريد القبض على هذا الغريب حياً أو ميتاً بأى ثمن ·

غمغم (جاسبار) مساعده الأول قائلاً : سأفعل حالاً يا سيدى ، وثق أن هذا الغريب لن يتمكّن من الهرب بأى حال ·

واندفع المساعد الثانى (كورتيجا) ليتولى مهمة قيادة آلاف الرجال والحراس للقبض على (مراد) ، على حين استقل (جاسبار) الطائرة (الهليوكوبتر) فى الخلف وأشار لقائدها فارتفع بها عاليا ، فى اتجاه الشمال ، والتقط (جاسبار) جهاز اللاسلكى داخل الطائرة وسرعان ما كانت الأوامر تأخذ طريقها إلى خمسة آلاف رجل بامتداد الخليج على مسافة أكثر من ثلثمائة كيلو متر لترفع حالة التأهب إلى أقصاها ·

وغمغم (خوسيه ميلا) لنفسه : لن يفلت هذا الغريب من قبضة رجالى ، ولو كان له جناحان يطير بهما ·· ولسوف يقع فى قبضتى حتما ·· فأريه أى مصير ينتظر من يدخل عرين الأسد بقدميه ·

وضاقت عيناه وبان فيهما دهاء بالغ · وجلس إلى مقعد وثير إلى جواره ، وهمس كأنه يخاطب نفسه : إن قلبى يحدثنى أن ذلك الغريب ، هو ذات الشخص الذى أنتظره منذ زمن ، فلا أحد غيره يمكن أن يفعل ما فعله ، فيأتى إلى عقر دارى ويتحدانى دون أن يدرى أننى ما قمت بأسر تلك الفتاة والاحتفاظ بها حية لدىّ ، إلا لأجل أن يحاول هو بالذات إنقاذها ، ولحظتها أتمكّن

من تصفية حسابى القديم معه .. ولو كنت محقاً فى ظنى ، وكان هو نفس الشخص ، فلسوف أقيم لـه حفل كبير للاحتفال به ، قبل إرسال روحه إلى الجحيم !

وأشعل (خوسيه) سيجاره بقداحة فاخرة وأطلق دخان السيجار فى الهواء وهو يقهقه بصوت عال وقد أعجبته الفكرة ، ثم غمغم بعينين دمويتين مواصلاً التحدث لنفسه : وأظن أن هناك آخرين يجب تقديمهم للموت بنفس الطريقة .. فلست أحب أن يقول شخص ما أن غريبا قد هشم عظام بعض رجال (خوسيه ميلا) ، دون أن يعاقب هؤلاء الرجال بالطريقة التى تجعلهم لا يعيدون تكرار الأخطاء ذاتها ، فالموتى ، وحدهم ، هم الذين لا يكررون أخطاءهم !

والتمعت عيناه وهو يهب واقفا قائلا لرجاله المنتشرين حوله : والآن فلنعدّ مفاجاة صغيرة لذلك المنقذ .. لتكون آخر المفاجآت التى سيصادفها فى حياته ، قبل أن أبعث به إلى الجحيم !!

* * *

أعاد أحد زملاء (زانادو) سماعة الهاتف ، والتفت إلى بقية رفاقه فى تجهّم وهو يتحسّس جبهته المتورمة ، وفكه المحطم قائلاً : إن سنيور (خوسيه) يطلبنا حالاً فى قصره ، فهو يريد أن يعرف كل شىء عن ذلك الغريب .

مسح آخر الدماء التى تجمعت فوق أنفه المهشم ، وقال فى صوت متألم : إننى مستعد أن أتنازل عن نصف عمرى وأعرف من أين جاء هذا الغريب .. إنه يبدو أكثر احترافاً من أى شخص آخر قابلته فى حياتى ، كما أن قبضته قاسية مثل الصخر . والشىء المذهل أنه كان قادراً على رؤيتنا فى الظلام ، ونحن نتخبط كالفئران الغبية العمياء ، وننال اللكمات فى كل مكان من أجسادنا ، دون أن نتمكن من رد إحداها !

وصاح (زانادو) بصوت أقرب إلى التوسل والبكاء : إن آلام كتفى المحطمة توشك أن تقتلنى وأريد أن أذهب إلى طبيب فى الحال ، فلا أستطيع تحريك ذراعى .

أجابه آخر فى صوت صارم : تحمّل يا (زانادو) فإن أوامر السنيور (خوسيه) واضحة تماما ..

فهو يريدنا جميعا قبل الفجر وليس أمامنا وقت للذهاب لطبيب ، فالمسافة تستغرق أكثر من ثلاث ساعات بالسيارة للوصول إلى قصر (خوسيه) .

وأضاف ، فى لهجة محذرة للعملاق المتألم : وأنت تعرف ماذا يفعل سنيور (خوسيه) فى من يخالف أوامره ، فلا تدعنا نرتكب مزيداً من الأخطاء .

عضّ (زانادو) على شفتيه وهو يغالب آلامه ، وغمغم قائلا : هيا بنا إذن ، فلا وقت لإضاعته .

واتجه الجميع إلى سيارة (لاندروفر) ضخمة قريبة ركبوها ، وأدار أحد الرجال محركها ثم انطلق بها يشق الطريق المظلم الممتد إلى ما لا نهاية فى قلب شبه الجزيرة .. ومصباحا السيارة الكبيران يكسوان الأرض بالضوء إلى مسافة بعيدة للأمام .

وعض أحد الرجال شفتيه السفلى بقوة وقسوة قائلاً ، بعينين محتقنتين : أتمنى لو أعرف أين اختفى هذا الغريب ، وكأنه تبخّر فى الهواء .

أجابه زميله ذى الساق المكسورة :

ـ لا أظن أنه سيتمكن من الاختفاء طويلاً ، فسوف يشرع رجالنا فى تفتيش كل ركن فى الخليج باكمله ، وسيقبضون عليه حتما ، ولو كان يرتدى طاقية الإختفاء ، ووقتها سيكون انتقامنا منه لا مثيل له .

زأر العملاق النحاسى (زانادو) فى غضب وحشى :

ـ لسوف أقتل هذا الشيطان لو وقعت عليه عيناى ثانية .. أقسم أن أمزقه إلى ألف قطعة وألتهمه بأسنانى انتقاما منه .

وتسلّح آخر بمدفعه الرشاش ، وهو يجيل عينيه فى الطريق المظلم حوله قائلاً : من الأفضل أن نحاط بشدة ، فلعل هذا الشيطان يعد لنا كمينا فى مكان ما حولنا ، فهو يبدو حافلاً بالمفاجآت غير المتوقعة .

التقط رجل آخر سلاحه وتشبّث به قائلا :

ـ فليفعل ذلك ، لتكون نهايته قد حانت فى اللحظة نفسها .

وفجأة علا صوت من مكان ما فى الظلام صارخا : قفوا أماكنكم .

وفى الحال امتدت أيدى ركاب (اللاندروفر) إلى مدافعهم الرشاشة ، ولكن (زانادو) صاح فيهم وهو يغالب ألمه : دعوا أسلحتكم ، فهو أحد كمائن رجالنا .

وظهر أكثر من خمسين رجلاً مسلحين بالمدافع الرشاشة والقنابل أحاطوا (باللاندروفر) من كل اتجاه . كانوا جميعا من رجال (خوسيه) ، وأخذوا يتفرسون فى العملاق الأصلع وزملائه ، فصاح فيهم (زانادو) : أفسحو الطريق لنا ، فإن (السنيور) فى انتظارنا .

أجابه قائد الكمين بوجه متجهّم : لن نسمح لكم بالمرور قبل تفتيش سيارتكم .

صاح أحد ركاب (اللاندروفر) غاضبا : ماذا تقول أيها الرجل .. نحن زملاؤكم .

هزّ قائد الكمين رأسه ملوّحاً بمدفعه الرشاش قائلاً : إن الأوامر لدينا صريحة ولا تستثنى أحداً .

تبادل ركاب (اللاندروفر) نظرة صامتة

مقطبة .. كان الموقف يبدو غريبا ، وما كان باستطاعتهم الرفض .

واندفع أفراد الكمين يفتّشون السيارة الكبيرة ويبعثرون محتوياتها ، فهمس أحد ركابها لزميله ساخرا : هل يظن هؤلاء الأغبياء أن هذا الغريب سيختبىء فى عُلَبِ الطعام أو أسفل مقاعدنا ؟

وانتهى التفتيش دون العثور على شىء ..

وأشار قائد الكمين لرجاله بإفساح الطريق ، فصاح أحد ركاب (اللاندروفر) بأفراد الكمين :

حاذروا أن يفلت هذا الشيطان منكم .

فأجابه قائد الكمين ساخراً : لن يفلت هذا الوغد ولو ابتلعته الأرض ، فإن هناك أكثر من خمسة آلاف رجل ينقّبون عنه كل شبر فى الخليج .

انطلقت (اللاندروفر) ثانية لتواجه عشرة كمائن أخرى خلال ساعتين فقط ، فزفر (زانادو) فى غضب وألم قائلاً : هؤلاء الأغبياء هل خرجوا لملاقاة جيش من الأعداء ، إنه ليس سوى شخص وحيد مهما كانت براعته .

أجابه أحد الرجال فى قلق :

ـ يبدو أن (السنيور) (خوسيه) مهتم بالقبض على هذا الرجل ، فهذه هى المرة الأولى التى يأمر فيها كل هذا العدد من رجالنا بنصب الكمائن والانتشار بمثل هذه الطريقة .

ألقى (زانادو) نظرة إلى ساعته ، وقال : سوف نصل إلى القصر بعد ساعة واحدة .

قال قائد السيارة :

ـ إننا بحاجة لتزويد السيارة بالوقود فقد أوشك على النفاذ .

(زانادو) : فلنتجه إلى محطتنا الخاصة للتزود بالوقود على مسافة عشر كيلو مترات .

وظهرت أنوار المحطة بعد دقائق ، وتهادت (اللاندروفر) أمامها ، وقد نفذ وقودها تماما لتقف فى صف طويل من سيارات رجال (خوسيه) التى راحت تتزود بالوقود تأهّباً للمطاردة والتفتيش .

وفى محطة الوقود كان كمين آخر فى انتظارهم بقيادة (جاسبار) مساعد (خوسيه) بنفسه الذى وصل المكان سريعاً بطائرته العمودية فقام رجاله بتفتيش السيارة للمرة الحادية عشرة قبل أن يسمحوا لركابها بالتزويد بالوقود والانطلاق ، وما إن ابتعدوا قليلاً حتى قال أحد ركاب (اللاندروفر) لزميله ساخراً : إنهم يظنون أن هذا الشيطان سيأتى بسيارته طالبا التزود بالوقود ، فيلقون القبض عليه فيا لهم من أغبياء !

أجابه زميله فى سخرية : فى بعض الأحيان يخيّل لى أن ثلاثة أرباع رجالنا لا يصلحون لعملنا ، ومن

الأفضـــل لهم أن يعملـوا فى محـــلات البقـــالة والسوبر مــاركت .

وفجأة جاءه صوت من الخلف يقول : هذا هو رأيى أيضاً !!

استدارت رءوس الرجال التسعة فى ذهول نحو مصـدر الصـوت المفـاجىء .. وضـغط قــائد (اللاندروفر) على فراملها بكل قوته لشدة المفاجأة . وفى اللحظة ذاتها وقعت عيون الرجال التسـعة على شخص قد استقام فى مؤخرة (اللاندروفر) المكشوفة شاهراً مدفعاً رشاشاً فى وجوههم .. وفوق شفتيه ابتسامة قاسية .. ساخرة إلى أقصى حد .

آخر شخص كانوا يتوقعون رؤيته فى ذلك الوقت أو فى ذلك المكان !

ولم يكن ذلك الشخص غير (القناص المحترف) .. وقد بدا فى مكانه كأنما سقط من قلب السماء فوقهم ..

أو كأنما انشقت الأرض عنه .

وقد كان ذلك التخيل الأخير على غرابته .. هو الحقيقة بعينيها !

* * *

الفصل الخامس

رجل من الجحيم

زادت ابتسامة (مراد عزمى) اتساعا وسخرية وهو يقول مواصلا : إن رأيى الخاص هو أن العمل فى محلات البقالة ربما كـان لا يناسـب مواهبكم بالذات ، لأنكم أغبى من أن تتولّوا مثل هذا العمل أيضا !

وضاقت عيناه وهو يتفرس فى الرجال المذهولين أمـــامه وأضـــاف فى تسـاؤل : مــــا رأيكم فى مهنة أخرى ؟ .. لنقل مهرجين فى سيرك .. فهذه المهنة تناسبكم تماما ، خاصة مـع تلك النظـرات البلهاء التى أراها تطل من عيونكم !

أفاق ركاب (اللاندروفر) إلى أنفسهم ، وقبل

أن تمتد أيديهم إلى مدافعهم الرشاشة ، صاح (القناص) فيهم : حذار فإننى لا أتساهل أبدا مع من يبدأون بإشهار أسلحتهم فى وجهى .. والآن ألقوا بأسلحتكم بعيداً أيها الأوغاد ، فإننى أصاب بحساسية عادة عندما يكون هناك شخص مسلّح على مقربة منى ، وهذا يدفعنى لارتكاب الأعمال الطائشة التى تترك عادة آثاراً لا تمحى فى من تكون من نصيبه !

ترامق الرجال التسعة مع بعضهم .. وتراخت أيديهم فى توتر وقلق ، ثم ألقوا بأسلحتهم خارج السيارة .. وغمغم أحدهم قائلاً فى ذهول : كيف ظهرت فجأة هكذا ، وقفزت إلى سيارتنا واستطعت اجتياز كل الحواجز الأمنية دون أن يراك أحد ؟

زوى (مراد) ما بين حاجبيه مجيباً :

ـ إن الفضل لكم على أى حال ، فقد كنت معكم طوال الوقت فى تلك الرحلة الممتعة .

غمغم (زانادو) فى ذهول : هل تقصد أنك ..

قاطعه (مراد) فى قسوة وسخرية : إن ما تريد قوله صحيح تماماً أيها الحاد الذكاء .. فقد فتش رجالكم كل شبر فى سيارتكم وكنت أسمع من مكانى ما يفعلونه ، ولكنهم لم يفكروا فى إلقاء نظرة واحدة أسفل السيارة التى كنت راقداً تحتها !

اتسعت عيون الرجال التسعة فى ذهول أشد ، وغمغم أحدهم غير مصدق : هل تعنى أنك ظللت

معلقاً أسفل سيارتنا كل هذا الوقت منذ انطلاقنا ؟

ارتسمت ابتسامة صغيرة قاسية على وجه (القناص) وقال :

ـ هذا صحيح تماما ، والفضل فيه يعود إلى مدربى الخاص ، رحمه الله ، الذى كان يصحبنى معه فى رحلات خلوية بطول الصحراء الغربية ، شريطة أن يكون مكانى أسفل سيارته لا إلى جواره ، ومن سوء حظكم أننى رجل يجيد التوقع وقراءة الأحداث المقبلة ، ولذلك توقعت أنكم ستبادرون بالاتصال (بخوسيه) لتخبروه بما جرى لكم كما خمنت سيامركم بأن تسرعوا إليه ليسمع منكم الحكاية بنفسه ، فانتظرت أسفل سيارتكم ، وقد صحّ توقعى كما رأيتم ، وقد تفضّلتم مشكورين بتوصيلى كل هذه المسافة رغماً عنكم !

عض الرجال التسعة على شفاههم فى قسوة وغضب .. وقد بدوا بالنسبة لذلك المحترف الغريب كقطيع من الخراف لا يصلح لشىء إلا للركض فى المراعى والتهام العشب !

وغمغم أحدهم فى حقد : إنك لن تستطيع الفرار ، فرجالنا يملأون كل أرجاء المنطقة وهناك خمسة آلاف رجل يفتشون عنك ، ولن تنجح فى خداعهم ولو كان لك مكر إبليس .

أجابه (مراد) ساخراً : لحسن الحظ أن ذلك

الوغد (خوسيه) لا يستعين فيما يبدو إلا بالأغبياء للعمل معه ٠٠ وأعتقد أننى خلال ثوان قليلة ساكون قد تمكنت من شل حركة أكثر من ثلاثة أرباع رجاله ، ولن يستطيعوا مطاردتى مرة أخرى قبل ساعات طويلة ووقتها سيكون الأوان قد فات لأى عمل من جانبهم !

والقى نظرة إلى ساعة يده وهتف : سوف يبدأ مهرجان الألعاب النارية حالاً !

وما كاد (مراد) يتم عبارته حتى دوى انفجار رهيب هز أركان المكان • وانبعثت شعلة عالية من مكان بعيد اندفعت إلى قلب السماء ، لتحيل ظلام الليل إلى لهب مشتعل ، مكان محطة الوقود التى غادرتها (اللاندروفر) بركابها منذ دقائق قليلة !

واستدارت العيون المذهولة لتحدق فى (مراد) ، وضوء اللهب البعيد يتراقص فوق وجوههم ، كأنه يسخر منهم ويهزأ بهم ، فقال (مراد) متهكما :

ـ إننى لم أشا ان أقوم بزيارة محطة وقودكم ، دون أن أترك تذكاراً صغيراً عندها ، مجرد قنبلة زمنية ألقيتها من مكانى أسفل سيارتكم لتستقر خلف إحدى وحدات ضخ الوقود ، بحيث تنفجر بعد عشر دقائق بالضبط ٠٠ ولا شك أن كل سيارات زملائكم الذين كانوا يسعون خلفى قد دُمرت تماماً ٠٠ ولن يتسنّى لهم الآن غير استخدام أقدامهم ٠٠ هذا

وما كاد (مراد) يتم عبارته حتى دوى انفجار رهيب هز اركان المكان •

إن أفاقوا من الصدمة سريعاً .. وليس من شك أن ذلك الانفجار سيفسد خطة مطاردتى تماماً .

لم ينطق الرجال التسعة بشىء وقد أخرست المفاجأة ألسنتهم ، وأضاف (مراد) :

لحسن حظكم أننى لست من هواة سفك الدماء حتى لأعدائى ، ولذلك تركت قنبلة صوتية على مسافة من محطة الوقود ، بحيث تنفجر قبل انفجار القنبلة الأولى بنصف دقيقة فقط ، ولا شك أنها اجتذبت كل من كانوا بمحطة الوقود نحوها وهم يظنوننى خلفها ، وبذلك تمكنت من إبعادهم عن محطة الوقود حتى لايصاب أحدهم فى انفجارها . وهكذا ترون أى قلب رقيق أتعامل به حتى مع الأوغاد !

جز (زانادو) على أسنانه فى جنون صارخا :

- أى رجل أنت أيها الغريب .. وأى شيطان أرسلك إلينا ؟

أجابه (مراد) فى قسوة :

- لعله نفس الشيطان الذى أوحى لكم بتهريب المخدرات إلى بلادى أيها الأوغاد ، وقد أنقلب عليكم الآن !

وأخرج من جيبه حبلاً طويلاً من البلاستيك المعالج بفتائل من الفولاذ الذى يستحيل قطعه ، وألقاه إلى ركاب (اللاندروفر) قائلاً : والآن

فليتطوع أحدكم بتقييد الآخرين بهذا الحبل .. وحذار من التلاعب ، فإننى أغضب عادة ممن لا يجيدون القيام بالمهام السهلة التى أكلفهم بها !

ترامق الرجال التسعة فى صمت وغضب متفجر كأنما يتشاورون بعيونهم .

وتقدم أحدهم نحو الحبل بوجه منكس .. ولكن ، وقبل أن تلتقطه يداه قفز نحو (مراد) كفهد متوحش .. وخلفه ثلاثة من زملائه كانوا هم القادرين على الحركة والعراك من زملائهم بعد ما لحقهم من إصابات تلك الليلة .

ولكن (القناص) لم يكن ممن يمكن مفاجأتهم بمثل تلك الطريقة أبداً ، وقبل أن تمتد يد أقرب مهاجميه إليه ، طارت قدمه لتصيبه فى فكه وتهشم له ما تبقى منه ، وهوى فوق رأس الثانى بمدفعه الرشاش فطرحه على الأرض دون حراك .

وأصابته لكمة من مهاجمه الثالث ، ومزق سكين الرابع جزءاً من سترته ، فاستدار (مراد) ليواجه غريميه بعينين مشتعلتين وبدا كنمر ثائر يستحيل الوقوف فى وجهه .. وامتدت يداه لتقبض على رقبتى مهاجميه . ودق رأسيهما ببعضهما فى عنف .

ودوى صوت الخبطة كما لو كان فرقعة صغيرة .. وترنح الرجلان لحظة وقد غامت الدنيا فى عيونهما .. ثم تهاويا دون صوت أو آهة ألم !

والقى (مراد) نظرة مقطبة على الرجال الأربعة الممددين على الأرض ، والتفت إلى الباقين الذين قبعوا فى أماكنهم بخوف قائلا : إن العمل الصالح لا يقابل بمثله فى هذا الزمان لسوء الحظ .. فلو أننى سمحت لكم بالعودة إلى (خوسيه) لقتلكم ومزق جثثكم أيها الأوغاد ، فما أعرفه عنه أنه لا يتسامح أبداً مع رجاله المهزومين ، وكان عليكم شكرى لا مهاجمتى .

هتف (زانادو) فى هلع : سوف ننفذ ما تريد أيها الغريب ولكن لا تؤذنا .

واندفع زميل له ، راح يقيد الباقين فى حبل واحد بطريقة يستحيل أن يتخلصوا منها . وبعد أن انتهى هز (مراد) رأسه فى رضى وقيد ذلك الأخير ، ثم قفز إلى مقعد القيادة فى (اللاندروفر) وانطلق بها بكل سرعته إلى هدف وحيد .. قصر (خوسيه ميلا) ، فبدت السيارة براكبها كوحش خرافى يقفز فوق الرمال ، وعيناه تلقيان باللهب حوله لتنير له الطريق .

وراقب ركاب (اللاندروفر) المقيدين السيارة حتى غابت عن أنظارهم فى قلب الظلام .. ثم استدارت عيونهم تجاه محطة الوقود التى كانت لا تزال تصب لهبها فى قلب السماء ، وقد بدأت تصل إلى آذانهم صرخات زملائهم المرتعبة من مكان الحريق .

وغمغم (زانادو) فى رعب ، وهو يرتعد : إن هذا الرجل شيطان .. شيطان حقيقى .. ومستحيل أن يكون كل ما حدث الليلة بفعل رجل وحيد ، مهما كانت قوته ومهارته ، حتى لو كان هذا هو ما شاهدته بعينى . ولست أدرى كيف سيتمكن من بلوغ قصر (خوسيه) وتخطى بقية الحواجز الأمنية باللاندروفر ، ولكنى واثق أنه سيفعلها فهو يبدو قادراً على القيام بأكثر الأشياء جنوناً !!

ولقد كان (زانادو) على حق فى ذهوله وعدم تصديقه لما فعله وسيفعله (مراد عزمى) . فلم يكن يعرف أن هناك رجلاً وحيداً قادراً على أن يطلق حمم الجحيم فى أى مكان يحل به ..

ولم يكن ذلك الرجل سوى (القناص المحترف) .

ومن سوء حظه أنه لم يسمع عنه من قبل !!

* * *

الطائر الجريح

صاح (خوسيه) ، فى غضب مشتعل : مستحيل أن يكون هذا الرجل قد فعل كل ذلك وحده .. لا يمكن أن يقنعنى أى إنسان بهذا .

شحب وجه (جاسبار) وهو يقول : ولكن هذا هو ما حدث يا (سنيور) .. لقد تمكن من نسف محطة الوقود وبداخلها كل سياراتنا ، وصار رجالنا فى العراء لا يستطيعون الحركة بدونها ولهذا أسرعت (بالهليوكبتر) إليك لإبلاغك بالنبأ بعد أن عثرنا على (زانادو) ورفاقه مقيدين وأخبرونا بما حدث ، وكيف اختبأ ذلك الشيطان أسفل سيارتهم .

ضاقت عينى (خوسيه) وغمغم قائلاً : إنه شيطان بحق .. ويبدو أننى لم أمنحه ما يستحقه من قدر وموهبة ، وتركته يخدعنا ويلهو بنا مثل قطع من (الشطرنج) يحركها كما يشاء بالرغم من خبرتى السابقة فى التعامل معه ولعله الآن يتأهب لدخول هذا القصر بحيلة أخرى .

انتفض (جاسبار) هاتفاً :

ـ لا يا سيدى هذا مستحيل ، وأؤكد لك أن الحراسة حول القصر مضاعفة فهناك ما يزيد عن خمسين رجل يحيطون بالقصر ، والمؤسف أنه لا يوجد غيرهم لأن الباقين قد انضموا إلى حملة التفتيش فى الجزيرة و ..

قاطعه (خوسيه) فى حدة : لا شىء مستحيل على هذا الشيطان ، وقلبى يحدثنى أنه يعدُّ لنا مفاجأة أقسى .

وضاقت عيناه وهو يغمغم متسائلاً : ترى أين هو الآن وما الذى يفكر فيه ، وما هى خطوته التالية ؟

واستدار إلى (جاسبار) قائلاً : سوف نذهب إلى الفتاة الأسيرة .. فربما كان لديها من المعلومات ما يفيدنا فى صراعنا ضد هذا الثعلب المراوغ .

وهبط الاثنان عدة درجات سُلَّميَّة تؤدى إلى قبو عريض أسفل القصر يقف على حراسته عدد من الرجال . وفى المنتصف كانت (غادة المصرى) مقيدة من ذراعيها بسلاسل حديدية تصل إلى السقف ،

وهى لا تقوى على الوقوف فوق قدميها لشدة آلامها . وقد تمزقت ملابسها كاشفة عن جراح عميقة فى ذراعيها ووجهها ، وقد بدا عليها أنها عانت من آلام تعذيب لا تطاق .. وقد اختفت ملامحها الجميلة الرقيقة تحت طبقة من الدماء الجافة والخدوش المؤلمة فوق وجهها .

كانت مثل طائر جريح سقط فى شباك صياد لا يرحم ولا يرقّ قلبه أبداً .

وتقدم (خوسيه) من (غادة) وجذبها من شعرها فى قسوة صائحاً : أخبرينا أيتها الماكرة ، أى خطة قد وضعها زميلك لدخول هذا المكان ؟

لم تَعِ (غادة) شيئاً حولها .. فقد حوّلها الألم والتعذيب إلى حطام إنسان .. حتى إنها لم تكد تسمع ما قاله (خوسيه) ، وغمغمت فى توسل بشفتين يابستين متشققتين قائلة : ماءٌ .. أريد ماءً .. إننى أكاد أموت عطشاً .

ولكن (خوسيه) صاح فيها مزمجراً : هناك شىء وحيد يمكن أن نقدمه لك .

والتقط سوطاً من الجدار ورفعه عالياً فى الهواء ..

ولكن ، وقبل أن يهوى به فوق الجسد النحيل الجريح توقفت يداه فى الهواء وقد أصاب صاحبها ما يشبه الشلل .

حدث ذلك فى اللحظة التى انبعث فيها صوت من الخلف يقول : إذا تحرك ذراعك سنتيمتراً واحداً مزقته لك أيها الوغد ، ومعه رأسك القذر وكل من يفكر من رجالك فى استعمال سلاحه .

جمد (خوسيه) مكانه وقد أطبق عليه ذهول عميق .. واستدار ببطء وعيناه مفتوحتان عن آخرهما ، كأنه لا يصدق ما سمعته أذناه .

ووقع بصره على (مراد عزمى) واقفاً فى مدخل القبو ، وقد أشهر فى يده مدفعاً رشاشاً .

وحتى الحراس بوغتوا به أيضاً ولم يتحْ لهم الوقت لاستعمال أسلحتهم .. فالقوها من أيديهم ورفعوا أيديهم عالياً ، أمام السلاح المصوّب إليهم ، وعينا صاحبه تؤكدان أنه لن يتوانى عن استخدامه عند أول بادرة مقاومة .

وغمغم (خوسيه) فى ذهول طاغ عندما شاهد (مراد) : أنت .. مستحيل .. إننى أحلم دون شك .

اشتعل غضب عارم فى عينى (جاسبار) وصاح فى (مراد) : كيف تمكنت من دخول هذا المكان ، دون أن يراك كل الحراس فى الخارج ويطلقوا عليك رصاصة واحدة ؟

أجابه (مراد) ساخراً : لقد جئت ممتطيا الهواء يا عزيزى فلم يلمحنى أحدهم ، لأن عيونهم كانت

تراقب الأرض لا السماء .. فلسوء حظكم أننى مولع بدخول الأماكن التى يقف الكثير من الأوغاد لحراستها بطرق مبتكرة .. وفى العادة فإن هذه الأماكن تكون هى الأسهل فى دخولها !

وضاقت عينيه وأضاف فى سخرية أشد : لقد هبطت داخل القصر دون مشاكل بعد أن رافقتك فى رحلة عودتك من محطة الوقود فى نفس الطائرة .

غمغم (جاسبار) بعينين واسعتين عن آخرهما :

— أتعنى أنك كنت مختبئا فى طائرتى ، ولكنى قمت بتفتيشها بنفسى فكيف اختبأت فيها ؟

أطلق (مراد) ضحكة قصيرة ساخرة وأجابه : إننى لا أقوم بنفس الخدعة مرتين أيها الوغد ، فقد توقعت أنك ستقوم بتفتيش طائرتك بعد أن يخبرك (زانادو) ورفاقه بما فعلته بهم تحسبا لكى لا اختبىء بها .. ولكن لأن الغباء صفة أصيلة فيكم جميعا فيما يبدو ، لذلك فإنك لم تفكر يا عزيزى (جاسبار) فى أن قائد طائرتك ربما يكون شخص ما قد هشم له فكه وحل محله ، ولم تشك فى صمت الطيار المفاجىء فى رحلة العودة ، أو تعمده إطفاء أنوار كابينة القيادة على غير العادة ، حتى لا تقع عليه عين متفحصة !

غمغم (جاسبار) فى جنون : أيها الشيطان .. لقد حللت مكان الطيار دون أن أشك فيك لحظة واحدة .

استدار (مراد) إلى (خوسيه) مواصلاً :

ـ من سوء حظك أيها الوغد أن رجالك يقعون فى نفس الأخطاء مرتين ، فبعد أن اختفيت عن عيون (زانادو) ورفاقه ، اخفيت (اللاندروفر) فى مكان قريب وأسرعت عائدا إلى محطة الوقود المشتعلة ، وحللت مكان الطيار وأنا واثق أن أول ما سيفعله مساعدك النشيط هو أن يستقل (الهليوكبتر) عائداً إليك ليخبرك بما حدث .. دون أن يهتم ولو بإلقاء نظرة على الطيار وأن كل اهتمامه سيكون منصباً على تفتيش الطائرة .. وبعد أن هبطنا داخل القصر غادرت مكانى دون أن يصادفنى أحد الحراس ، لأنهم جميعا كانوا يبحثون عنى خارج أسوار القصر .. لا داخلها !

التفت (خوسيه)إلى (جاسبار) وصرخ فيه :

أيها الغبى .. لقد أفسدت كل شىء بغفلتك .

اتقدت عينا (جاسبار) بحقد عميق ، وغمغم لمراد :

ـ أى رجل تكون وأى دهاء تملك ؟

رماه (مراد) بنظرة قاسية إلى أقصى حد وأجابه :

ـ اسأل سيدك فهو أدرى بى منك .. فهو أيضا فاجأنى ببقائه حياً بالرغم من أننى نسفت سفينته المحملة بالمخدرات فى قلب البحر قبل سنوات ، وظننت أن أسماك البحر قد ابتلعت جثته القذرة ،

وقبل أيام قليلة اكتشفت خطأى .. ولكنى عدت لإصلاح هذا الخطأ .. وكنت أعلم يقينا أنه من المستحيل علىّ اقتحام وكر هذا المجرم بسبب مئات الحراس والرجال حوله ، وكان علىّ أن اجتذب كل رجالكم بعيداً عن القصر ، فقد كان مستحيلاً الدخول فى معركة ضد كل هذا العدد من الرجال ، ولذلك تعمدت افتعال معركة مع بعض رجالكم فى حانة (الثور المجنون) لكى أعلن وصولى لـ (خوسيه) فجازت عليك الخدعة وأرسلت كل رجاله لتعقبى والبحث عنى ليقطع علىّ طريق الوصول إليه فى قصره ، دون أن يدرى أنه يحقق لى ما أريد بالضبط !

عض (خوسيه) على شفته السفلى بأسنانه فى ندم عميق قائلاً :

ـ وأنا الذى ظننت أننى سأقتنصك عندما ألقيت القبض على زميلتك وأبقيتها حية لكى تسعى لإنقاذها ، فتسقط فى يدى دون أى مشقة ؟

تقدم (مراد) خطوتين للأمام قائلا لغريمه :

ـ من سوء حظك أننى أمتلك عادة سيئة بالنسبة للبعض ، وهى أننى أفسد على الآخرين خططهم دائما وأجعلهم يعضّون أصابعهم ندماً وقهراً ، خاصة إذا كانوا من الأوغاد مثلك !

وألقى نظرة على (غادة) التى بدت لها ، وكأنها تفيق من غيبوبة طويلة ، وكان منظرها

مؤلماً حتى إن (القناص) أصابته رعدة غضب ، واستدار إلى (خوسيه) قائلاً :

أقسم أن أجعلك تدفع الثمن غالياً أيها القذر ، ولن تفلت من مصيرك هذه المرة .

ولوّح تجاه الحراس بمدفعه الرشاش قائلاً : والآن حلوا قيود زميلتى ، فقد قضت فى هذا المكان وقتاً أطول من اللازم .

غمغم (خوسيه) قائلاً : إنك لن تستطيع الهرب معها أبداً ، فهناك خمسون حارساً فى الخارج ، تكفى طلقة رصاص واحدة لتجذبهم إلى هذا المكان فى غمضة عين .

أومأ (مراد) برأسه ساخراً وقال : هذا ما أعلمه جيدا .. ولذلك أرغب فى أن تكون طلقة الرصاص التى ستجتذبهم إلينا ، هى الرصاصة الأولى التى سيطلقها مدفعى الرشاش صوب رأسك !

والصق فوهة مدفعه الرشاش برأس (خوسيه) قائلاً : إنك ستكون تميمة حظى لمغادرة هذه البلاد رغما عنك أيها الوغد .. فإننى واثق أنك عندما تصحبنا لمغادرة هذا المكان ، فلن يجرؤ رجالك على إظهار مواهبهم فى إطلاق النار .

ارتعد (خوسيه) وأطلّت من عينيه نظرة ذعر .. والصق (مراد) أصبعه فوق زناد سلاحه قائلاً له : هيا .. إننى أريد سماع ردّك أيها القبيح .

تطلّع (خوسيه) حوله فى ذعر باحثاً عن مهرب أو منفذ دون فائدة .. وارتعدت شفتاه الجافتين ، وغمغم فى الحراس بصوت هامس قائلاً : حلوا وثاق الفتاة ، ونفوذا كل ما يأمركم به هذا المصرى .

فاندفع الحراس لتنفيذ أوامر رئيسهم وحل قيود (غادة) ، التى بدأت تتنبه لما حولها . وعندما وقع بصرها على (القناص) اتسعت عيناها فى ذهول وغمغمت غير مصدقة :

- (مراد عزمى) .. مستحيل .

أجابها (مراد) فى رقة وحزن : وهل ظننت أنى سأتخلّى عنك يا عزيزتى .. إنك لو كنت فى الجحيم ذاته لما توانيت عن إنقاذك .

تهاوت (غادة) على الأرض غير قادرة على الوقوف فوق ساقيها ، بعد أن حلّ الحراس وثاقها ، وانفجرت باكية مكانها ، وهى تقول : إننى أشعر كأنى أموت .. لقد عذبنى هؤلاء الوحوش بقسوة لا مثيل لها .

أجابها (مراد) بصوت يتفجر غضبا :

- لسوف يكون الجزاء من نفس العمل لهؤلاء الأوغاد فثقى من ذلك .

ومد يده لـ (غادة) فتساندت عليه ، وبيده الأخرى قاد (خوسيه) أمامه بمدفعه الرشاش

خارجين من القبو ، بعد أن أغلقه على (جاسبار) وبقية الحراس لشلهم عن الحركة ٠

وهمست (غادة) (لمراد) : إننا لن نستطيع الهرب أبداً ومغادرة القصر ٠

فأجابها فى رقة :

ـ ثقى بى ٠٠ فهناك غواصة تنتظرنا على مسافة كيلو مترات قليلة من الشاطىء منذ بداية مهمتى ، وليس علينا غير بلوغها ، ولن يحاول رجال (خوسيه) اعتراضنا أو القبض علينا ثانية خشية على حياة زعيمهم ٠

وغادر ثلاثتهم القصر ، ودفع (مراد) بـ (خوسيه) فى عنف تجاه الشاطىء قائلا : هيا تحرك أيها الوغد ٠

ارتعد (خوسيه) وارتجفت كل أطرافه ، وهمس فى توسل إلى (مراد) :

ـ إننى مستعد أن أمنحك كل ما تريد ٠٠ إن لدىّ من الأموال ما يعجز عن إنفاقه أى إنسان ٠٠ أطلق سراحى وسوف أمنحك ما تريد ٠٠ عشرة ملايين ٠٠ عشرين ٠٠ مائة ٠٠ سوف امنحك كل ما تريد ولو كان نصف ثروتى ٠

ولكن (مراد) جاوبه بنظرة صارمة قاسية تفيض بغضاً ، وقال :

ـ لن تفيد ملايينك القذرة فى شىء ٠٠ ولن

تستطيع إنقاذك من المصير الذى ينتظرك فى بلادى ، عندما تحاكم بتهم عديدة ، أقلها عقوبته الإعدام ، ولحظتها فقط ستدرك أن كل الأوغاد والمجرمين أمثالك لا يمكن أن يفلتوا من العقاب أبداً ٠

اتسعت عينا (خوسيه) وقد أدرك المصير الذى ينتظره ، فاندفع نحو (مراد) بحركة مباغتة متحاشياً فوهة سلاحه وضغط بأصبعه فوق زناد مدفعه الرشاش ، فانطلقت دفعة رصاص سريعة فى الهواء مزقت سكون الليل ٠

ولفت انتباه الحراس أصوات طلقات الرصاص على الفور ، فاستداروا تجاهها وقد باغتتهم المفاجأة ٠

وأدرك (مراد) غرض (خوسيه) فطارت قبضته فى لكمة عنيفة ترنح لها المكسيكى بعد أن هشمت أنفه ، فدفعه (مراد) إلى زورق قريب وقفز بداخله وخلفه (غادة) وهو لا يزال يلصق فوهة مدفعه برأس (خوسيه) ٠٠

وقبل أن يدير محركه انفتحت أبواب الجحيم من بنادق الحراس ومدافعهم الرشاشة تجاه الزورق وركابه ، وأوشك بعضها أن يستقر فى رأس (خوسيه) ، فصرخ فى رجاله كالمجنون : أوقفوا إطلاق النار ، فإننى معهم ٠

وفى الحال توقف إطلاق الرصاص ، فربت (مراد) على رأس غريمه قائلاً :

– هذا أفضل أيها الوغد · والآن علينا ضمان عدم مطاردة أحد لنا ببقية الزوارق ·

واطلق مدفعه الرشاش فى خزانات وقود الزوارق المجاورة ، فانفجرت فى صوت مدوّ وتناثرت إلى أشلاء محولة الشاطىء إلى كتلة من اللهب ··

وأدار (مراد) محرك زورقه ، وهو يقول لـ (خوسيه) :

– والآن ستشاركنا فى رحلة قصيرة أيها الوغد ·

وشق الزورق قلب المياه و (مراد) يطلق العنان لسرعته القصوى ·

ولكن وقبل أن يبتعد الزورق كيلو مترات قليلة ، حلقت (الهليكوبتر) الحربية فوق الشاطىء ، ثم انطلقت فى مطاردة مجنونة وراء الزورق · وأطل من مقعد الطيار وجه (جاسبار) فادرك (مراد) أنه غادر سجنه وشرع فى مطاردتهم ، فصاح به : ابتعد عن طريقنا أيها الوغد وإلا هشمت رأس رئيسك وجعلته كالغربال المثقوب برصاصى ·

أجابه (جاسبار) مقهقهاً : دع عنك هذه المهمة أيها المصرى فسأتولاها بنفسى فكم حلمت بالقضاء على هذا الغبى المغرور !

وصوب (جاسبار) صاروخا من طائرته الحربية إلى الزورق ·· فغمغم (مراد) فى دهشة :

أدرك (مراد) غرض (خوسيه) فطارت قبضته فى لكمة عنيفة ترنح لها المكسيكى ، ودفعه (مراد) إلى زورق قريب وهو يلصق فوهة مدفعه برأس (خوسيه) ·

ـ ماذا سيفعل هذا المجنون .. إنه سيقتلنا جميعا .

وانطلق الصاروخ من مقدمة (الهليكوبتر) ، فصاح (مراد) فى (غادة) فى نفس اللحظة : أسرعى بالقفز إلى الميـاه .

وقفز الاثنان فى لحظة واحدة إلى قلب المياه ، وصرخ (خوسيه) فى جنون : لا أريد أن أموت .

ولكن .. وقبل أن يلقى بنفسه فى المياه ، اصطدم الصاروخ بالزورق فى انفجـار رهيب وتنـاثر إلى ألف قطعة .

وانطلق الرصاص ليحصد (مراد) و (غادة) من كل اتجاه ، ويحيل سـطح الميـاه حولهما إلى جحيم يستحيل النجاة منه .

* * *

الفصل السابع

المفاجأة الأخيرة

غاص (مراد) فى المياه العميقة ، وشـاهد (غادة) إلى جواره وهى تغوص ببطء فى قلب المياه وقد خارت كل قواها الواهنة وأوشكت عـلى الغرق ، بعد أن ابتلعت كميـة كبيرة من المياه ، فاندفع إليها وحملها فوق ذراعيه .

كانت (غادة) بحاجة إلى استنشاق الهـواء بسرعة ، فدفع (مراد) الماء بقدميه وارتفع إلى سطح المياه وقد غمرت أنوار الفجر المكان ، فشهقت (غادة) وأفرغت جوفها من الماء ، فاندفع الهواء إلى رئتيها بعد أن أوشكت على الاختناق .

وتوقف اطلاق الرصاص و (الهليكوبتر) تحوم فوق سطح المياه .. واندفع عدد من الزوارق المطاطية فوق سطح المياه وفوقها رجال (خوسيه) حاملين مدافعهم الرشاشة .

وجاء صوت (جاسبار) من (الهليكوبتر) فى (ميكروفون) قائلا لـ (مراد) : لا فائدة لك من المقاومة أو محاولة ادعاء البطولة .. فاستسلم لكى تضمن حياتك وزميلتك .

كان الموقف يائسا للقناص وهو بلا سلاح .. والغواصة المصرية على مسافة بعيدة لا يمكن لركابها تقديم العون له .

وكان مستحيلا محاولة الوصول إليها غوصا أو سباحة مع (غادة المصرى) وهى غير قادرة حتى على رفع ذراعيها وسط ذلك الحصار من الزوارق المطاطية .

لم يكن أمام (مراد) غير الاستسلام .. فالتقطه و (غادة) رجال أحد الزوارق المطاطية تحت الحراسة المشددة ..

وانطلق بهما الزورق إلى الشاطىء ، وعشرات المدافع الرشاشة مصوبة إليهما من بقية ركاب الزوارق المسلحين .

وتصارعت عشرات الأفكار فى رأس (مراد) ..

كان هناك شىء لا يفهمه قد أفسد خطته تماما

فى مغادرة المكان سالما .. فهو لم يضع فى احتماله ولو بنسبة واحد فى المائة أن رجال (خوسيه) سيحاولون إعاقة هروبه معرضين حياة رئيسهم للخطر . فلماذا أطلق (جاسبار) صاروخه على الزورق ونسف رئيسه ؟

وفكر (مراد) ، فلعل (جاسبار) كان يسعى ليحل محل (خوسيه) فى الزعامة ، وكان فى اختطاف (القناص) لزعيمه فرصة ذهبية لتنفيذ تخطيطه والتخلص منه ليصير الزعيم بدلا منه !

وانتحبت (غادة) وهى تخفى وجهها بكفيها قائلة : سوف يقتلوننا .. إن الموت مصيرنا دون شك ، وليتهم يعجلون بذلك ، فلم أعد أحتمل المزيد من التعذيب .

ولكن (مراد) مس أصابعها الرقيقة بكفه القوية ، وحدق فيها بعينيه السوداوين العميقتين .. كأنه يبث إلى قلبها رسالة يطمئنها برغم كل ما يحيط بهما من يأس يوشك أن يذهب بعقلها .

ولامس الزورق المطاطى الشاطىء .. فغادره (مراد) و (غادة) تتساند على ذراعه تحت الحراسة .

وكان بقية الحراس فى انتظارهم تحت قيادة (كورتيجا) وقد وضح أنه تمكن من العودة للمكان بطريقة ما ومعه عدد كبير من رجاله . وهبطت (الهليكوبتر) على مسافة أمتار منهم . وغادرها

(جاسبار) وفى عينيه نظرة ساخرة . وتقدم تجاه (مراد) ويده تعبث بمسدسه ، وتوقف قائلاً : هل ظننت أنك ستتمكن من الفرار أيها الشيطان مهما كانت درجة براعتك .. إننى أعترف لك حقاً بالمهارة وأنك رجل المفاجآت .. ولكن هناك مفاجأة أخيرة ادخرناها لك ، وحان الأوان لكشفها .

واستدار (جاسبار) نحو بوابة القصر العريضة مراقباً سيارة (رولزرويس) فاخرة اخذت تعبر البوابة متجهة إلى الشاطىء فى نفس اللحظة ، وقد أخفى زجاج السيارة الداكن حقيقة ركابها عن العيون .

وتوقفت السيارة على مسافة أمتار قليلة من (مراد) ، فحدّق صامتاً فى بابها الخلفى الذى انفتح ، ثم غادره شخص وحيد .. وفوق شفتيه ابتسامة ساخرة إلى أقصى حد .

وشهقت (غادة) عندما وقع بصرها على راكب (الرولزرويس) .. وتراجعت للخلف وهى تغمغم فى ذهول : مستحيل .. لقد مت أمام عينى ، فكيف عدت للحياة مرة أخرى ؟

وضاقت عينا (مراد) إلى آخرهما وهو يحدّق فى الشخص الواقف أمامه .

كانت مفاجأة بحق . مفاجأة لم تخطر بباله . وكان كشفها كفيلا بتفسير ما غمض عليه من أحداث منذ لحظات .

كان (خوسيه ميلا) هو راكب (الرولزرويس) التى غادرها منذ لحظات ، وقد وقف يراقب (القناص) وابتسامة خبيثة تتلاعب فوق شفتيه !

وقال (جاسبار) ساخرا لـ (مراد) : ما رأيك فى هذه المفاجأة الرائعة ؟

زم (مراد) حاجبيه فى صرامة ، وقال لـ (خوسيه) : إذن فقد كان الآخر مزيفاً .. مجرد شبيه يحل محلك فى المواقف الخطرة .

أطلق (خوسيه) ضحكة عالية قائلاً :

- تعجبنى سرعة بديهتك .. فهذه هى الحقيقة بالضبط .. ولعل هذا يفسر لك لماذا نسف (جاسبار) شبيهى المزيف بصاروخ مزّقه إلى ألف قطعة .. فلم تعد لنا حاجة به بعد سقوطك فى قبضتنا .

عقد (مراد) حاجبيه قائلاً :

- إننى أعترف لك بالبراعة حقاً .

جاوبه (خوسيه) فى صوت لا يشى بمشاعر صاحبه :

- وأنا لا يسعنى غير الاعتراف لك بالمهارة أيها (القناص) .. فلم أكن أظن وأنا أخطط لإعادتك لعملك السابق ، أنك ستكون لاتزال محتفظا بنفس مهارتك السابقة وربما أكثر ، فإننى أعترف أنك سببت لنا بعض الخسائر .

وفى خبث أضاف : ولكنها خسائر يسهل تعويضها .. أما أنت فاعتقد أنه لن يسهل على من أرسلوك إلى هذا المكان تعويضك بأى حال من الأحوال .

وأشار إلى صفوف المستودعات القريبة مضيفا : انظر .. هناك مئات الأطنان من كل صنوف المخدرات داخل هذه المستودعات ستأخذ طريقها إلى بلادك فى أقرب وقت .. ولن تكون موجوداً على وجه الأرض لتحاول منعها بأى وسيلة كما فعلت المرة السابقة .

التمعت نظرة ماكرة ، فى عينى (مراد) وقال (لخوسيه) دون أن تخالجه أى مشاعر قلق أو توتر :

– إنك تبدو واثقاً مما تقوله .. وعلى المرء أن يضع فى حسبانه دائما احتمال تعرضه للمفاجآت غير المتوقعة .

رفع (خوسيه) حاجبيه فى استنكار وتهكم قائلاً :

– وأى مفاجآت غير متوقعة يمكن أن تحدث هنا يا عزيزى ، وأنا أحتمى بالمئات من رجالى وسط قصرى الذى يشبه قلعة حيصنة ؟

واصل (مراد) بنفس النظرة الماكرة الحادة كنصل سيف باتر قائلاً :

– من يدرى .. قد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن !

زم (خوسيه) فمه فى بعض الملل ، وقال :

– أرى أننا نضيع الوقت فى الثرثرة .. وأنت تعرف أن وقتى ثمين جداً .. كما أننى أرغب فى وضع نهاية سريعة لكل هذه الأحداث ، لتصفية حسابنا القديم ، فلست بالرجل الذى يترك دفاتره القديمة دون أن يغلقها نهائيا !

ونفض زرة غبار من فوق سترة بذلته الفاخرة ، وزادت ابتسامته اتساعا وهو يضيف لمراد : لا شك أنك تدرك أنه قد تقرر إعدامك فوراً .. وأننى لم أشأ أن أغيب عن تلك المناسبة الهامة ، وهو ما جعل رجالى يعودون بك حياً من مياه الخليج بدلاً من قتلك هنا بصاروخ أو دفعة رصاص . ولكنى كمنافس قديم لك فإننى أترك لك الطريقة التى تفضل اختيارها لموتك .. هل هى طلقة رصاص فى رأسك أم رشقة سكين فى قلبك أو ربما الإعدام شنقا أو بالكهرباء أو حتى بالغاز .. فكل هذه الوسائل متوفرة لدينا أو ليس عليك غير أن تختار النوع الذى تفضله !

هز (مراد) كتفيه دون اهتمام كأن الأمر لا يعنيه ، وقال :

ـ من العجيب أننى أفضل استخدام طريقة خاصة للإعدام لم تخطر ببالك أيها الوغد ٠٠ ولا خطر ببالك أيضاً أنها ستنفذ فيك ٠٠ خلال ثوان قليلة على الأكثر ٠

غمغم (خوسيه) بدهشة : الإعدام لى أنا ؟

والتفت إلى رجاله الذين تكدسوا فى كل مكان حول الشاطىء ، ثم أطلق ضحكة عالية صاخبة والتفت إلى (مراد) فى سخرية قائلا :

ـ وكيف ستنفذ فىّ حكم الإعدام أياً كانت طريقتك ٠٠ وأنا أحتمى بجيش من رجالى المخلصين ؟

التمع دهاء لا حدّ له فى عينى (مراد) وهو يجيبه :

ـ إن المثل يقول عندنا « إن طباخ السم لابد أن يتذوقه » ٠٠ وأنت امتهنت إرسال السموم إلى بلادنا لوقت طويل بعد طبخه ٠٠ فليس أقل من أن تتذوق بعضاً من سمومك لتتأكد من تأثيرها الحقيقى على من يتعاطاها ٠

وألقى (مراد) نظرة إلى ساعته والتمعت عيناه ببريق كاللهب ٠٠

لقد حانت ساعة الصفر ٠٠ وحان موعد كشفه لمفاجآته الأخيرة أيضاً ٠

وفى اللحظة التالية دوّى انفجار هائل فى أحد

مستودعات المخدرات ، وانبعث النيران والدخان الكثيف منها ٠

وفى اللحظة التالية وقبل أن يفيق (خوسيه) ورجاله من المفاجأة ، انفجرت بقية المستودعات فى سلسلة متصلة ، أحالت المكان إلى جحيم ٠ وانتشر دخان أبيض فوقها كما لو كان ضباب كثيف فاندفع رجال (خوسيه) كالمجانين فى كل مكان محاولين إطفاء النيران دون فائدة ، وأخذ (خوسيه) يصرخ كالمجنون طالبا من رجاله إنقاذ المخدرات التى تساوى آلاف الملايين من الدولارات ٠

واكتسى وجه (مراد) بملامح باردة قاسية وهو يقول لـ (خوسيه) : ما رأيك فى هذه المفاجأة الأخيرة ٠٠ فكما اخبرتك فإن الرياح دائما تأتى للأوغاد بما لا تشتهيه سفنهم ٠

عربد الجنون فى عينى (خوسيه) وصرخ فى (مراد) : إنك أنت الذى قمت بتلغيم هذه المستودعات بالقنابل الموقوتة ؟

أجابه (مراد) : هذا صحيح وقد فعلت ذلك قبل دخولى القصر للقبض على (خوسيه) المزيف بعد وصولى بطائرة مساعدك ، فقد اعتدت فى عملى أن أحتاط دائما لمفاجآت أعدائى ، بأن أجهز لهم مفاجآت أكثر إيلاماً وقسوة !

صرخ (خوسيه) فى رجاله كالمجنون : اقتلـوا هـذا الشيطان ·

ولكن وقبل أن يتحـرك أحـد مقاتليه لتنفيـذ أوامره ، طارت قـدم (مراد) لتهشم فك أقرب الحراس إليه ، والتقط (القناص) مدفع الحارس الرشـاش وأطلق دفعة رصـاص ، اصابت أقـرب الحراس من حوله ، واجتذب (غادة) من يدهـا وأسرع نحو (الهليكوبتر) الرابضة على مقربة ، واحتمى خلفها من الرصاص المنهمر عليه كالسيل ، ثم قفز داخلا ، وهـو يحمل (غـادة) فارقـدها برفق فوق المقعد المجاور لـه ، وأدار محركـات (الهليكوبتر) بسرعة محمومة وتكفل مدفع الطائرة الرشاش بحصد كل من حـاول الاقتراب منهـا · وارتفعت (الهليكوبتر) عاليا · ومن مكانه داخل الطائرة شاهد (مراد) (خوسيه) وهـو يندفع محاولاً إطفـاء النيران مـع رجـاله وهـو يصرخ كالمجنون ·

ولكن رجاله بدأوا يترنحون ويتساقطون عـلى الأرض بفعل دخان المخدرات المحترقة الذى أصابهم بغيبوبة وفقدان للوعى ·

وترنح (خوسيه) وهو يجاهد ليتماسك ولكن رائحة المخدرات كانت أقوى منـه ، فسـقط عـلى الأرض ، وسرعان ما امتد إليه لهيب النيران فتحول

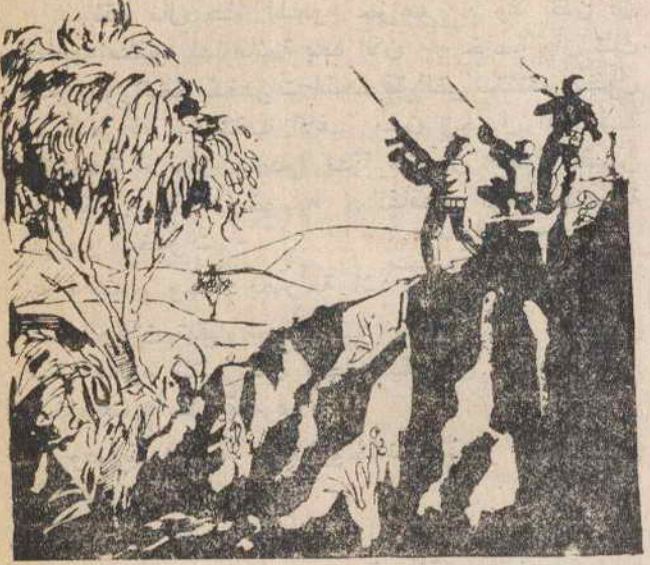

ارتفعت الهليكوبتر عاليا ورجـال (خوسـيه) يحاولون اصطيادها دون جدوى ·

إلى كتلة مشتعلة ، فأخذ يصرخ فى جنون طالباً النجدة ، قبل أن يخرس صوته إلى الأبد وتحترق صرخاته !

راقب (مراد) المشهد تحته دون أن تخالجه أى مشاعر شفقة على عدوه ، والتفت إلى (غادة) قائلاً :

ـ لقد نال هذا المجرم جزاءه .. ولا أظن أن عصابته ستقوم لها قائمة بعد الآن .. خاصة وأن تلك النيران ورائحة المخدرات المحترقة التى ستنتشر بطول الساحل ، ستجتذب الافاً من رجال الشرطة المكسيكية ، ولن يجدوا بدّاً من أن يلقوا القبض على كل رجال (خوسيه) الفاقدى الوعى بتهمة تهريب المخدرات .

واكتسى وجهه بصرامة أشد وهو يضيف :

ـ والآن تبقى شىء وحيد ، وهو نسف معامل هذا المجرم التى كان رجاله يقومون فيها بتصنيع المخدرات داخل قصره .

وصوب (مراد) صاروخاً نحو قصر (خوسيه) وأطلقه .

وأصاب الصاروخ هدفه وانفجر فى صوت مدو ، وامسكت النيران بكل جزء فى القصر الذى تهدمت واجهته .. وصوّب (مراد) صاروخا ثانياً وثالثاً حتى أحال القصر إلى جحيم وهشيم .

وهز (مراد) رأسه فى رضى قائلاً : لقد انتهى الحفل ، ولم يعد هناك ما نفعله فى هذا المكان ، ولا شك أن أصدقائنا فى غواصاتنا قد أصابهم الملل لطول انتظارنا كل هذا الوقت ، وعلينا أن نلحق بهم سريعاً قبل وصول الشرطة المكسيكية ، وربما قوات الجيش والمخابرات أيضاً ، فإن هذا الوغد شخصية هامة جداً ، كما أخبرنى شخص ما !

وأدار (الهليكوبتر) تجاه مياه الخليج . وتطلعت (غادة) إلى (مراد) فى ذهول ، وارتعدت شفتاها كأنها لا تصدق ما تراه بعينيها ، وهمست فى صوت شاحب متألم : كيف خططت لكل ذلك ونفذته وحدك بدقة منقطعة النظير ؟

تطلّع (مراد) إلى (غادة) فى صمت وهو يتأملها . كانت تبدو فى حال سيئة فهمس ، يقول لها فى اشفاق وحزن :

ـ إننى فى سبيل إنقاذك ، كنت مستعداً لأن اخوض صراعاً حتى مع زبانية جهنم .

فهمست (غادة) تقول فى ضعف ، وهى تغالب آلامها وجراحها :

ـ لن أنسى هذا الصنيع أبداً .. وسأدين بحياتى لك بقية عمرى .

وأغمضت عينيها ومالت رأسها إلى مقعدها بعد أن فقدت وعيها لشدة آلامها .

وألقى (مراد) نظرة حنون عليها . وتمزق قلبه لمنظرها . وتمنى لو استطاع أن يريحها من آلامها ويتحملها بدلاً منها .. ولكنها كانت أمنية مستحيلة .

* * *

الفصل الثامن

العـــودة

طُرقت طرقتان خفيفتان فوق بـــاب إحــــدى الحجــرات العــديدة فى مبنى (إدارة العمليــات السرية) . وألقى (فخرى سيف) نظرة إلى شاشة (التليفزيون) الصغير المثبت إلى حـــافة مكتبـه ومتصل بكاميرا فـــوق مدخل بابه ، واسـتقرت فى عينيه نظرة ود عميقة عندمـــا شـــاهد فوق شـــاشة (التليفزيون) وجه الطارق .

وضغط زرا بجواره فانفتح البآب أوتوماتيكياً . وخطا (القناص المحترف) إلى داخل الحجرة بقامته الممشوقة وشعره الأسود اللامع المصفف بعناية .

كان بلا خدش واحد .. وإن كانت عيناه قد فاضتا بحزن عميق حاول إخفاءه دون فائدة . وغادر فاضتا بحزن عميق حاول اخفاءه دون فائدة . وغادر ظافرا ، كالأيام السابقة الجميلة .

واحتضن (الثعلب) (مراد) بقوة كصديق حميم ، وتأمل وجهه فى إعجاب مضيفاً : كعادتك فإنك لم تخيّب ظنى أبداً . وحققت أعلى معدلات الأداء بطريقة أقرب إلى الإعجاز . ويسرنى إبلاغك أن أنباء انتصارك عندما جائتنا برقية بها من غواصتنا التى أعادتك للوطن ، هذه البرقية جعلت كل أفراد (إدارة العمليات السرية) يشعرون بلذة النصر ويتباهون بأن صفوفهم تضم شخصاً مثلك .

لم ينطق (مراد) بشىء . وأشار (فخرى) له ليجلس أمامه ففعل ، وقال (الثعلب) وهو يأخذ المقعد المواجه له : لقد جاءتنا آخر الأنباء من خليج المكسيك منذ دقائق قليلة ، فقد قامت الشرطة المكسيكية بالقبض على كل أعوان (خوسيه) وألقوا بهم فى السجن حيث تنتظرهم تهم ستبقيهم مدى الحياة وراء القضبان ، بعد أن تلاشى نفوذ زعيمهم وتهدمت امبراطوريته .. أما (خوسيه) فلم يعثروا إلا على هيكل عظمى محترق له ، وبهذا يمكن أن نقول إن أسطورة هذا المجرم قد انتهت تماماً ومحيت من الوجود .

وصمت لحظة ثم أضاف بلهجة خاصة تشى بالفخر : إن الفضل يعود لك أيها (القناص) .

تساءل (مراد) فى صوت هامس : كيف حال (غادة) ؟

تكدّر وجه (فخرى) ، وحاول ألا تشى لهجته بمشاعره الحقيقية ، وهو يقول : إنها ترقد فى مستشفى المخابرات الخاص ، ونحن نعتنى بها أفضل عناية .

وصمت لحظة ثم أضاف بصوت كساه الحزن : لقد أظهرت صور الأشعة التى أجريناها لها ، وجود بعض الكسور فى ساقها اليسرى ، وهى بحاجة إلى بعض العمليات الجراحية ووقتاً لتشفى ، وأرجو أن تعود كما كانت من قبل .

نكس (مراد) رأسه فى ألم وهمس كأنه يلوم نفسه : لقد وصلت إليها متأخرا .. وربما لو كنت أنقذتها مبكرا لتغير الوضع وما لحقتها كل هذه الإصابات .

قال (فخرى) بصوت عميق : هذا هو رأيى أيضا .

تلاقت عيون الرجلين فى نظرة طويلة . كان (الثعلب) يدرك أن هذه هى اللحظة المناسبة لما يريد قوله ، ويخطط له منذ وقت .

وفى هجوم مباشر أضاف بلهجة لا تخلو من لوم :

ـ لو أنك كنت فى الخدمة منذ وقت ·· لما جرى ذلك (لغادة المصرى) ·· ولا تعاظمت سطوة (خوسيه ميلا) إلى هذا الحد ، ولو أنك ألقيت نظرة على قوائم ضحايا سموم ومخدرات هـذا المجـرم ، لأدركت أن القضاء عليه كان يجب أن يتم منذ زمن ·· ولكن لم يكن لدينا الشخص المناسب للقيام بهذا العمل ·· فى الوقت المناسب !

أخفى (مـراد) وجهه بكفيه فى ألـم ·· كأنه يخفى أحزانه عن العالم كله ·· وحتى عن أقرب الناس إليه .

كان يدرك ما يهدف إليه رئيسـه ومـاذا يرمى بحديثه . وقد كان على حق فى كل ما قاله !

وفى قلبه راحت تتصارع رغبتان قويتان إحداهما تدفعه لكى يستمر دون هوادة ·· والأخرى تبرز له صورة صديقه الراحل وهو ممدد على الأرض دون حراك ، وقد اخترقت رصاصة غادرة قلبه .

ودون هوادة أضاف (فخرى سيف) فى صوت ملىء بالمشاعر الحارة والرجاء :

ـ إن كثيرون ينتظرون عودتك الدائمة للعمل أيها (القناص) ، فمصر تناديك لتكون فى خدمتها وتزود عنها ·· فلا تصم أذنيك عن ندائها مهما كانت أحزانك .

رفع (مراد) كفيه عن وجهه ·· وتألق وجهه

وومضـت عيناه وقـد تفجرت فيهما دماء النضـال والرغبة فى خدمة وطنه . وقد اتخذ قراره الـذى عكسته نظراته الصارمة التى لا تعرف التردد .

وهب (القناص) واقفاً واعتصرت أصـابعه حافة المكتب أمامه ، كأنه يوشـك أن يهشـمها .

واشـتعلت عينـاه فى إرادة عـارمة قـائلاً :

إننى لا أستطيع التخلى عن نداء وطنى الحبيب أبداً مهما كانت التضحيات .

هب (فخرى) واقفا بدوره وعيناه تشيان بمدى سعادته ، وتأمل (مراد) قائلاً : كنت أعرف أنك ستتخذ هذا القرار أيها البطل ولن تتخلف عن تلبية النداء أبداً ، وأنك ستنسى الماضى الأليم ، وسـتكون عودتك شوكة قاصمة فى ظهور كل أعداء الوطن .

ومد يده يصافح أفضل رجل فى إدارته بأكملها ، ثم هتف يقول بفرحة طاغية : سوف أنقل هـــذا الخبر السعيد الآن إلى رئيس المخابرات بنفسى .. ولست أشك أنه سيشاركنى سرورى البالغ .

وأسرع (فخرى) يدير قرص الهاتف برقم سرى لا يعرفه غير عدد لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة .

وكان (الثعلب) يدرك أنه بتلك المكالمة ستتغير كثير من موازين القوى فى الحـرب السريـة للمخابرات المصرية مع أعدائها .

كان يعرف أن شخصاً وحيداً كان بإمكـانه أن يفعل ذلك ..

(القناص المحترف) ..

وقد فعلها أخيراً !!

* * *

المغامرة القادمة

(جزيرة الأهوال)

مطلوب موزعون فى جميع المحافظات
فى مصر والعالم العربى

مطابع سجل العرب

القناص المحترف

١ - مهمة فى الجحيم

● رجل وحيد أعزل .. ضد جيش من الأعداء .. مقاتل خاص .. رجل مخابرات فريد .. إنه القناص المحترف .

● ترى أى قوة أجبرته على العودة إلى المخابرات المصرية بعد اعتزاله لتقديم خدمة .. لرجل ميت ؟ ولماذا غامر للقيام بمهمة فى الجحيم بمفرده .. وكيف كانت نتيجة تلك المعركة الدامية فى خليج المكسيك .. كل ذلك تقرأه فى هذه المغامرة غير العادية .

القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب) ت : ٩٣٢٧٠٦ - ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
١ شارع محمد محمود - عمارة برج الأطباء - باب اللوق - تليفون : ٣٥٥٨٤٦١ - ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش بالهرم